الفصل الثالث

التعليل بالجمل

تقع الجملة في مواضع متعددة ، فتعطي معاني مختلفة فهي قد يُخبَر بها عن المبتدإ فتكون في موضع الخبر ، وتبين هيئةً فتكون في موضع الحال ، أو توضح صفة فتكون في موضع الصفة وغير ذلك . وقد يُفهَم سياق بعض الجمل تعليلًا فيكون مضمونها علةً لما قبلها ، فكما يكون التعليل بالكلمة يكون أيضًا بالجملة ، ومواضعها كثيرة في القرآن .

إن الجملة التعليلية جملة استئنافية في اللفظ مراد بها التعليل في المعنى[1] . والاستئناف قد يكون ابتدائيًّا لمعنى جديد منفك عن المعنى الجُملي الأول كما في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف : ٣٠) "فجملة (إنا لنراها في ضلال مبين) استئناف ابتدائي"[2] ، وقد يكون لغرض أو معنى يتعلق بالمعنى الأول ، ومنه الاستئناف للتعليل ، والاستئناف البياني لأي غرض من أغراض البيان ، كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام : ١٣٥) "فجملة (إني عامل) تعليل لمفاد التسوية من الأمر"[3] .

والتعليل بالجملة موضع يستلزم فصل جملة التعليل عمَّا قبلها نحويًّا مع ارتباطها بها دلاليًّا .

---

(١) البحر المحيط : ٥ / ٩٣ ، التحرير : ٢٠ / ٢٢٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٦١ .

(٣) المصدر نفسه : ٨ / ٩١ .

القسم الأول : جمل التعليل الخبرية المصدَّرة بأداة

أولًا : (إنَّ) واسمها وخبرها :

(إنَّ) من الحروف المشبَّهة بالفعل : (إنَّ ، أنَّ ، ليت ، لعلَّ ، كأنَّ ، لكنَّ) وهو حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر يفيد التوكيد ؛ إذ يؤكد مضمون الجملة أو بتعبير أدق يؤكد النسبة بين الاسم والخبر[١].

و(إنَّ) على رأي قسم من العلماء تفيد التعليل[٢]، فتعلل ما قبلها بما بعدها ، ومُثِّل لذلك بنحو قوله تعالى : ﴿ وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّي ﴾(يوسف : ٥٣) وقوله تبارك وتعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ (التوبة : ١٠٣) ، وقوله : ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (البقرة : ١٦٨) .

والأولى أن التعليل مفهوم من موضع جملة (إنَّ) بتمامها في السياق ، لا أن (إنَّ) نفسها أفادته ، وعلى هذا المذهب قسم من العلماء ، قال الشربيني : (إنه – يعني التعليل– مستفاد من الجملة بتمامها بقرينة السياق فهو من دلالة الاقتران...)[٣] ، واستبعد بعضهم إفادة (إنَّ) للتعليل[٤] .

وفضلًا عن ذلك إن أغلب من ألَّف في حروف المعاني من النحاة لم يذكر لـ (إنَّ) معنى التعليل كالزجاجي والرماني وصاحب جواهر الأدب والمالقي والمرادي وابن هشام[٥] .

وعلى هذا الرأي أيضًا من المحدثين الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ، قال : (إذا وقعت (إنَّ) موقع التعليل جاز فيها فتح همزتها وكسرها . والفتح على تقدير لام العلة محذوفة، والكسر على أن التعليل بجملة (إنَّ) ومعموليها)[٦] .

---

(١) شرح المفصل : ٨ / ٥٩ ، شرح التصريح على التوضيح : ١ / ٢١١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٩٦ ، ٤ / ٢٢٩ .

(٣) تقرير الشربيني على حاشية العطار على جمع الجوامع : الشيخ عبد الرحمن الشربيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (بدون تاريخ) : ٢ / ٣٠٨ .

(٤) المصدر والصفحة أنفسهما .

(٥) رصف المباني في شرح حروف المعاني : ١١٨ - ١٢٥، الجنى الداني في حروف المعاني : ٣٩٣ - ٤٠٢ .

(٦) دراسات لأسلوب القرآن الكريم : الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) : ق١ : ج١ / ٥٧٠ .

وقد يؤيد ذلك قول الدكتور فاضل السامرائي : (فهي - يعني (إنّ) - في الحقيقة ليست للتعليل المحض كـ (أ نّ) وإنما هي حكم عام وكلام مستأنف فيه تعليل يشمل ما ذكر وما يذكر)[1] .

أما ورودها إذا أفادت جملتها تعليل ما قبلها فله فائدتان : الأولى أنها للتوكيد ؛ إذ تؤكد مضمون الجملة ، والثانية أنها للربط فتربط جملتها بسابقتها فتأتلفان ، ويكون (الكلام بها مستأنفًا غير مستأنف ، مقطوعًا موصولًا معًا)[2] ، ولو أُسقِطت من الكلام لنبا ما بعدها عمَّا قبلها ، ولذلك قال عبد القاهر الجرجاني : (هل شيء أبين في الفائدة وأدلُّ على أن ليس سواء دخولها - يعني (إنَّ)- وأن لا تدخل من أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به حتى كأن الكلامين قد أُفرِغا إفراغًا واحدًا وكأن أحدهما سُبِك في الآخر؟ هذه هي الصورة حتى إذا جئت إلى (إنَّ) فأسقطتها رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول وتجافى معناه عن معناه ورأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل)[3] .

فالتعليل في الآيات الكريمة المتقدمة إذن تعليل بجملة (إنَّ) ، والذي يظهر في تلك الآيات وفي مثيلاتها أن العلة - وهي مضمون جملة (إنَّ) - ليست غرضًا ، بل هي سبب فيما قبلها ، ففي الآية الأولى نفى يوسف(عليه السلام) تبرئته لنفسه وهذا مسبَّبٌ سببُه مضمون جملة(إنَّ) وهو أن النفس أمَّارة بالسوء ، وفي الآية الثانية أُمِر الرسول الكريم (ﷺ) بالصلاة وهي الدعاء لهم والترحم عليهم ، وسبب ذلك أن صلاته سَكَنٌ لهم ، أما الآية الثالثة فقد نُهي الناس فيها عن اتباع خطوات الشيطان ، وسبب النهي أن الشيطان عدو لهم .

ومثل ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ﴾ (يس : ٧٦) . والمُلاحَظ أن السبب -وهو مضمون جملة (إنَّ)- ليس مما يُشترط فيه أن يتقدم على المسبَّب ذهنًا وخارجًا ، فهو في الآيات المتقدمة لمطلق الزمان(وهو الغالب في هذا التعليل)،

---

(1) معاني النحو : ١ / ٢٩٢ .

(2) دلائل الإعجاز : الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ،(ت : ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) : ٢٧٣ .

(3) المصدر نفسه : ٣١٦ .

فكون النفس أمارةً بالسوء غير مقيد بزمن بعينه ، وكذلك كون دعائه (ﷺ) سكنًا لهم ، وكون الشيطان عدوًّا للناس ، وأن الله (ﷻ) يعلم ما يسرون وما يعلنون .

ومثل ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٩٩، المزمل:٢٠) .

إن إطلاق زمان مضمون الجملة غالب ؛ لأن الزمان قد لا يكون كذلك ، فقوله تعالى: ﴿ إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً ﴾ (طه : ١٠) فيه أن مضمون جملة (إنَّ) قد حصل في الماضي (القريب) ، وهو سببُ أمرِه لأهله بأن يمكثوا ، وهو متقدم عليه في الذهن والخارج ، ولعل ما أعطى الدلالة على المضي هو كون خبر (إنَّ) جملة فعلية فعلها ماض (آنست) .

وقوله تعالى على لسان هابيل : ﴿ ما أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة : ٢٨) فيه أن نفيَ بسطِ اليد للقتل سببُه الخوف من الله تعالى ، والخوف واقع في الحال ، إلا إنه سابق لعدم بسط اليد ، أما استمراره مستقبلًا فهو احتمالي غير قطعي ووجوده في المضي كذلك .

وقد يوحي مضمون جملة (إنَّ) بالاستقبال كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (هود : ٣٧) ، وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحج : ١) ؛ فالإغراق وزلزلة الساعة ليسا هما المقصودين ، فالمراد – والله أعلم – من (إنهم مغرقون) أن الإغراق قد ثبت عندنا إذ حكمنا عليهم به ، جاء في الكشاف : "(إنهم مغرقون) : إنهم محكوم عليهم بالإغراق، وقد وجب ذلك وقضى به القضاء وجف القلم ، فلا سبيل لكفه"[1] ؛ فالإغراق إذن قد ثبت فكأنه متحقق ، خصوصًا لو تذكرنا أن (إنَّ) تفيد التوكيد والتحقيق [2] . وهذا هو سبب النهي عن التكلم في ذاك الشأن ، وكذا الآية الثانية ، فعِظم هول الساعة أمر ثابت عند الآمر بالتقوى محقق في علمه وهو سبب الأمر بها.

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل : ٣ / ١٩٧ .

(2) شرح المفصل : ٨ / ٥٩ .

ونلاحظ هنا أن أغلب ما يعلَّل بجملة (إن) يكون نفيًا أو طلبًا كما في الأمثلة المتقدمة ، أو ما يدل على الطلب ، كقوله عز وجل : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (الطور : ٢٨) فكون الله برًّا رحيمًا سبب في دعائهم إياه ، وقوله : ﴿ ندعوه ﴾ دال على وقوع طلب . ومن غير ذلك قول تعالى : ﴿ ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس : ٨١) .

ثم إن (إنَّ) وجملتها إذا جاءت في مقام التعليل حَسُن أن توضع الفاء موضع (إنَّ)[١]. كما أن السياق مع (إنَّ) محمول على تقدير سؤال ، ففي آية الطور (٢٨) مثلًا "حينما قالوا : إنا كنا من قبل ندعوه ، كأن سائلًا يسألهم : لِمَ هذا الصنيع ؟ فأجابوا : إنه هو البر الرحيم ، فكان فعلهم ودعاؤهم معلَّلًا بكون الله برًّا رحيمًا"[٢]. ومن الجدير بالذكر هنا أن الفاء قد تدخل على (إنَّ)وجملتها الواقعة موقع التعليل كقول الله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ويصح حذف هذه الفاء إذ يجوز أن يُقال : إن الذكرى تنفع المؤمنين ، ولعلَّ دخول الفاء هنا يزيد معنى التعليل ويقوي الربط بين الجملتين .

الفرق بين فتح همزة (إن) وكسرها عند التعليل :

تقدم في مبحث(أنَّ) المفتوحة الهمزة أنها تؤول مع صلتها بمصدر إذا أفاد التعليل ، ويكون على تقدير اللام . وهذا يجعل التعليل عند الفتح مقيدًا بما قبله ، واقعًا معه في الجملة نفسها .

أما (إنَّ) المكسورة فتكون جملتها مُستأنَفة غير مُقيَّدة بما قبلها ، لذلك يكون المعنى بها واسعًا ، ومن ثَمَّ رأى العكبري (ت٦١٦هـ) أنَّ الكسر في مقام التعليل أبلغ ، قال في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة : ١٦٨) : "إنما كسر الهمزة لأنه أراد الإعلام بحاله ، وهو أبلغ من الفتح ؛ لأنه إذا فتح الهمزة صار التقدير : لا تتبعوه لأنه عدو لكم"[٣] .

---

(١) البرهان : ٣ / ٩١ .

(٢) شرح التصريح : ١ / ٢١٨ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، (ت : ٦١٦هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) : ١٣٩ .

ولذلك قيل إن قولهم : (لبيك إنَّ الحمد والنعمة لك) بالكسر أجود منه بالفتح ، جاء في حاشية يس على شرح التصريح : "واعلم أن النووي وكثيرًا من الحنفية عللوا كون الكسر أجود بأنَّ من كسر (إنَّ) قال : الحمد والنعمة لك على كل حال ، ومن فتحها قال : لبيك بهذا السبب .

وحاصله أن الكسر يحصل به عمومُ استحقاقِه تعالى الحمدَ والنعمةَ سواء وُجِدت تلبية أم لا ، بخلاف الفتح فإن فيه ضعفًا "[1] .

فيتبين أن التعليل عند فتح همزة (أنَّ) يكون مقيَّدًا بعامله مقصورًا عليه ، أي : إنما حصل هذا لهذا ، وهو واقع في جملة واحدة ، بخلاف التعليل لو كسرت همزة (إنَّ) إذ يكون تعليلًا واسعًا وحكمًا عامًا مُستأنَفًا غير مُقيَّد بالعامل ، والكلام هنا واقع في جملتين[2] ، الأولى تشتمل على المعلَّل والثانية هي المعلِّلة ، فهذا الأخير إذًا تعليل الجملة أو -كما سماه الأزهري - تعليل جملي[3] . وذاك تعليل بالمصدر المؤول ، أو هو تعليل إفرادي[4] .

صور التعبير عن الجمل التعليلية المصدَّرة بـ(إنَّ) في القرآن الكريم :

تستأثر الجمل التعليلية المصدرة بـ (إنَّ) بالنصيب الأوفر من تراكيب التعليل في القرآن الكريم؛ فقد تجاوزت خمسمائة موضع .

النمط (١) : إنَّ + جملة اسمية بسيطة :

في هذا النمط نجد أنه لم يتصل بأحد ركني الإسناد أي من المتعلقات ، كما أن الركنين كليهما ليسا مركبات إسنادية أو جملًا ، وجاء المسند إليه على هذه الصور :

١- اسمًا معرفة نحو قوله تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾ (غافر : ٥٥)

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة :٤٠)

---

(١) حاشية يس على شرح التصريح : الشيخ يس بن زين ، المطبعة الأزهرية المصرية ط٢ ، (١٣٢٥هـ) : ١/ ٢١٩ .

(٢) معاني النحو : ١ / ٢٩٢ .

(٣) شرح التصريح : ١ / ٢١٨ .

(٤) المصدر والصفحة أنفسهما .

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (الأعراف : ١٨٣)

٢- ضميرًا متصلًا بـ(إنّ) نحو :
﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾(التوبة:٩٥)
﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ (القصص : ٣١)
أو ضميرًا منفصلًا عنها عندما تتصل بـ(ما) نحو :
﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (الغاشية : ٢١)

٣- اسمًا موصولًا نحو قوله تعالى :
﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ (الأنعام:١٢٠)

٤- اسم إشارة نحو قوله تعالى :
﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان : ١٧)

أما المسند فقد جاء معرفة كما جاء نكرة ، نحو :

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان : ١٩)
﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ (غافر : ٥٥)

ويأتي الخبر في شواهد هذا النمط على هذه الصور :

١- مفردًا كما في قوله تعالى :
﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (البقرة : ١٩٧)

٢- جارًّا ومجرورًا نحو :
﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ (الزمر : ٨)

٣- ظرفًا - واقتصر على استخدام (مَعَ) مفتوحة الآخر - نحو :
﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة : ١٥٣)
﴿ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا ﴾ (التوبة : ٤٠)

كما يتقدم خبر (إنَّ) على اسمها كما في قوله تعالى :
﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ ﴾ (النور : ٤٤)

النمط (٢) : إنَّ + جملة اسمية متداخلة :
قد تتسع الجملة الاسمية بإحلال جملة اسمية أخرى محل المُسنَد ، وبهذا تتداخل الجمل ؛ فنجد داخل الجملة الاسمية الأصلية جملة اسمية فرعية .

ويأتي استعمال الجمل المتداخلة في هذا النمط على أربع صور هي :

١- إنَّ + مسند إليه + مسند (جملة اسمية) :

تمثِّل هذه الصورة وقوع خبر (إنَّ) جملة اسمية ، ويغلب في هذه الصورة -في القرآن الكريم- أن يكون صدر الجملة المخبَر بها ضميرًا منفصلًا -والذي يسميه النحاة ضمير الفصل- بحيث يصح لديهم إعماله على أنه مبتدأ وما بعده خبره ، وهو وما بعده خبر لـ(إنَّ) ، أو إهماله وعد ما بعده خبرًا لـ(إنَّ)[1] . وذلك كما في قوله تعالى :
- ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (الدخان : ٤٩)
- ﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل : ١٢٥)

وتشمل هذه الصورة أيضًا ما كان فيه خبر (إنَّ) جملة اسمية غير مصدَّرة بضمير فصل ، نحو قوله تعالى :

---

[1] الكاب : ٢/ ٣٨٨ ، البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ، تحقيق : طه عبد الحميد طه ، مراجعة : مصطفى السقا ، الهيئة المصرية العامة للكاب (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) : ١/ ٧٣ .

- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) ﴾ (الجاثية: ١٨ - ١٩)

- ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾ (التوبة : ١٢)

ولا نكاد نجد سوى شاهد واحد تتعدد فيه التراكيب المتداخلة هو قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء : ٣٦) فإن الجمل تداخلت فيه بشكل أكبر من الشواهد السابقة ؛ فخبر (إنَّ) جملة متداخلة ، والجملة المصدّرة بها (إنَّ) متداخلة أيضًا .

٢- إنَّ + مسند إليه + (كان / ليس) + جملة اسمية :

نجد في هذه الصورة أن خبر (إنَّ) جملة اسمية مصدَّرة بفعل ناقص (كان / ليس) . وذلك كقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء : ٣٢)

- ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء : ٢٩)

- ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ (الإسراء : ٥٣)

كما يأتي خبر (كان) جملة نحو قوله تعالى : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) ﴾ (الحاقة : ٣٣)

تركت (كان) في الشواهد جميعها أثرًا إعرابيًّا ظهر في المسند ؛ إذ هو قبل دخول (كان) مرفوع فأصبح بعد دخولها منصوبًا أي إنها ليست بزائدة .

تضيف (كان) إلى التوكيد بـ (إنَّ) توكيدًا آخر يكتسب من دلالة الخبر بعدها على الاستمرار في المضارع أو على التحقق والثبوت في الماضي ، والفرق يُلاحَظ عند حذف (كان) ؛ فلو نُظِر إلى معنى قوله تعالى : ﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٧٦) في كان وفي حذفها لوجدنا أنَّ استعمال (كان) جعل كيد الشيطان

ضعيفًا في كل حال وكل زمان ، أما بدون (كان) فيبدو المعنى أنَّ كيد الشيطان ضعيف وقت القتال فقط .

ومثل ذلك يُقال في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا ﴾ (الإسراء : ٣١) .

كما نجد في هذه الصورة خبر إنَّ (المسند) مصدَّرًا بـ(ليس) ، و(ليس) هنا تفيد نفي الخبر ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) ﴾ (النحل : ٩) فقد جاءت (ليس) لتعليل الأمر بالاستعاذة من الشيطان عند إرادة قراءة القرآن[1] ، وقد وقعت في صدر خبر (إنَّ) ، وخبر (ليس) مقدَّم على اسمها ، واسمها نكرة لذلك قُدِّم الخبر وهو جار ومجرور .

٣- إنَّ + مسند إليه + مسند (جملة فعلية) :

في هذه الصورة يكون التعليل جملة اسمية مصدَّرة بـ (إنَّ) وخبر (إنَّ) جملة فعلية ، كما في قوله تعالى :

﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (النازعات : ١٧)

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (التوبة : ٨٤)

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ٧٠)

وقد يأتي الفعل في جملة خبر (إنَّ) جامدًا نحو قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

---

(1) تفسير التحرير والتنوير : ١٤ / ٢٧٨ .

٤- إنَّ + مسند إليه + (جملة شرطية) :

في هذه الصورة يكون التعليل جملة اسمية مصدَّرة بـ (إنَّ) تأتي بعدها جملة شرطية ، مثل قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) ﴾ (نوح : ٢٧) ولم أشأ أن أضم هذه الصورة إلى سابقتها - والتي يكون المسند فيها جملة فعلية - لأنه إذا اجتمع مبتدأ وشرط رجح الشرط على المبتدأ فأعطى الشرط الجواب ولم يعطِ المبتدأ خبرًا لدلالة جملة الشرط وجوابه عليه[١] .

وبعد استعراض الأنماط نشير إلى بعض الملاحظات العامة عليها :

١- تتصدر (إنَّ) الجمل التعليلية بحيث تكون الجملة بعدها علة لما قبلها و(إنَّ) رابطة بينهما ، إلا إنها في بعض المواضع نحو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ... ﴾ (التوبة : ٢٨) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات : ١٠) تترك وظيفة الربط بين العلة والمعلَّل له لـ (الفاء) . فالجملة التعليلية مصدَّرة بـ(إنَّ) إلا أنَّ (إنَّ) لم تُستعمل للربط بين الجملة التعليلية والجملة المعلَّل لها لتقدم التعليل .

٢- قُرِئت (إنَّ) في بعض المواضع (أنَّ) بالفتح ، وهذا لا يغير أنها متصدِّرة للجمل التعليلية ؛ لأنهم فسروا المفتوحة الهمزة بإسقاط حرف جر دال على العلة . يقول الفراء في قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس : ٣٣) " حقت عليهم لأنهم لا يؤمنون ، أو بأنهم لا يؤمنون فيكون موضعها نصبًا إذا ألغيت الخافض . ولو كسرت فقلت : (إنهم) كان صوابًا على الابتداء "[٢] .

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٢١٤ .

(٢) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت : ٢٠٧هـ) ، عالم الكتب ، ط٣ ، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) : ١ / ٤٦٣ .

ويصرح أبو حيان باستعمالها للتعليل في الحالين ؛ سواء فُتِحَت همزتها أم كُسِرَت . يقول في قوله تعالى : ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف : ٣٠) " وقرأ العباس بن الفضل وسهل بن شعيب وعيسى بن عمر : أنهم اتخذوا بفتح الهمزة ، وهو تعليل لحق الضلالة عليهم ، والكسر يحتمل التعليل من حيث المعنى "[١] .

"ولذلك جعلوا من مواطن جواز كسر همزة (إنَّ) وفتحها أن تقع في موضع التعليل" [٢] ويقول الشيخ عبد الخالق عضيمة : " يجوز فتح همزة (إنَّ) وكسرها في مقام التعليل ، والفتح على تقدير لام العلة ، والكسر على أن التعليل بجملة (إنَّ) ومعموليها "[٣] .

٣- يُلاحَظ في الأنماط السابقة أن المُسنَد إليه (اسم إنَّ) جاء معرفة ، وما كان منه نكرة جاء مُؤخَّرًا عن المُسنَد (خبر إنَّ) ، وهذا المُسنَد إما ظرف أو جار ومجرور .

وتنوعت صورة المعرفة التي جاء عليها المُسنَد إليه ؛ فقد جاء ضميرًا متصلًا وضميرًا منفصلًا وضمير شأن ، وجاء اسم إشارة واسمًا موصولًا ، كما جاء علمًا ومضافًا ومتصلًا بأل ، ومجيء المُسنَد إليه معرفة هو الأصل ، وما جاء في هذه الأنماط نكرة جاء بمسوغ هو تقدم المُسنَد عليه وكونه ظرفًا أو جارًّا ومجرورًا .

٤- جاء المُسنَد إليه مُقدَّمًا إلا ما كان نكرة سوغ الابتداء به تقدم المُسنَد وكونه ظرفًا أو جارًّا ومجرورًا -كما ذُكِر سابقًا - وقد تأخر المُسنَد إليه في مواضع قليلة رغم كونه معرفة نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦) ﴾ (الغاشية) ، وفي قوله تعالى : ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء : ٦٢) . ولم أجده تأخر في غير ما كان المُسنَد ظرفًا أو جارًّا ومجرورًا . وهذا يوافق ما جاء عند النحاة من منع تقدم خبر (إنَّ) وأخواتها على اسمها رغم أن ذلك جائز في المبتدأ أو الخبر إذا أُمِن اللبس ، واستثنوا من عدم الجواز ذاك

---

(١) تفسير البحر المحيط : ٤ / ٢٩١ ، والدر المصون في علوم الكاب المكنون : ٥ / ٣٠١ .

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ١/ ٣٤٠.

(٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم : ١ / ١ / ٥١٢ .

أن يكون الخبر ظرفًا أو جارًّا ومجرورًا ، وعللوا ذلك بعدم تصرفها وكونها فروعًا على الأفعال وبضعفها في العمل[1] .

٥- قد تتصل لام الابتداء في الجمل الاسمية بالمُسنَد إليه ، إلا إنها قد تتصل بالمُسنَد إذا دخلت (إنَّ) على هذه الجمل لزيادة تأكيد الخبر ، كما قد تدخل على الاسم (المُسنَد إليه) عندما يتأخر عن الخبر (المُسنَد) ، كما قد تدخل اللام على معمول الخبر بشرط تقدمه على الخبر[2] .

ونلاحظ أن هذه اللام قد جاءت في الجمل التعليلية المصدَّرة بـ (إنَّ) متصلة بالخبر في كثير من المواضع ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان : ١٩) ، وقوله تعالى : ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج : ٦٧) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ (الشعراء : ٢١٢) .

وجاء اتصال لام الابتداء بالاسم مؤخرًا عن الخبر في مواضع أقل نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (سبأ : ٩)

٦- في الجمل التعليلية المُصدَّرة بـ (إنَّ) لم يُحذَف أحد ركني الإسناد .

الخصائص الدلالية لبعض الجمل التعليلية المصدَّرة بـ (إنَّ) :

هناك تفاعل قائم مستمر بين الوظيفة النحوية والدلالة المعجمية للمفرد الذي يشغل هذه الوظيفة . ويشكل هذا التفاعل بينهما المعنى الدلالي للجملة كلها . فالجمل تحمل دلالة خاصة لكل مفردة فيها تتناسب والموقف الكلامي الذي وردت فيه الجملة ، وتفاعلها معه ينتج دلالة خاصة بالجملة .

والقرآن الكريم هو النص المُعجِز في دلالته ؛ لذلك تكثر الدلالات للجملة الواحدة ، ولا ندعي أننا يمكن أن نحيط بتلك الدلالات كلها ، ولكن نأخذ ما يظهر لنا منها مستعينين بالسياق وظروف الخطاب .

---

(١) شرح المفصل : ١ / ١٠٢ .

(٢) المقتضب : ٢ / ٣٤٣ ، رصف المباني : ٢٣٣ .

ومن دلالات التعليل للجمل المصدَّرة بـ (إنَّ) :

- الاستحقاق :

يكون في سياق الإخبار عن مآل الكافرين وجزائهم ، أو مآل المؤمنين وجزائهم ؛ حيث يكون التعليل لما هم فيه بذكر فعلهم الذي استحقوا عليه ذلك الجزاء ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) ... إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) ﴾ (النبأ)

فقد علَّل ما هم فيه من عذاب وما أصابهم من جزاء بما كان منهم في الدنيا من إنكار وتكذيب . والغرض من هذا التعليل هو بيان استحقاقهم لذلك العذاب ، وقد أكد ذلك الاستحقاق بتوكيد فعلهم بـ(إنَّ) وبالمفعول المطلق في الجملة المعطوفة ، بما يدل على إصرارهم على التكذيب وإنكارهم للحساب .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) ﴾ (الذاريات)

فقوله ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ تعليل لما آتاهم من فضل ، وفيه بيان لاستحقاقهم ذلك الفضل بما قدموه لأنفسهم في الدنيا .

وقد يكون بيان وجه الاستحقاق بعد التوعد نحو قوله تعالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) ﴾ (المدثر)

فقد توعد سبحانه ذلك الكافر بأنه سيرهقه صعودًا علة ذلك التوعد بأنه فكر وقدر وما جاء بعد ذلك من أفعال ذكرت في الآيات التالية للآية السابقة ، وفي ذكر علة التوعد بيان لوجه استحقاقه لذلك العقاب .

- التوضيح والتبيين :

من دلالات التعليل في سياق الخبر تفسير ما قبله وتوضيحه وتبيينه نحو قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) ﴾ [الأعراف] . فالجملة التعليلية (إن هؤلاء ...) فيها

تفسير لقوله : (إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) ، وكأن سائلًا يسأل : وما الذي نجهله ؟ فيكون قول موسى (عليه السلام): (إنَّ هؤلاء ...) فيكون في ذلك التفسير ردع لهم على هذا الطلب .

واستعمال الجملة التعليلية بهذه الصورة الإخبارية المبدوءة بـ(إنَّ) + اسم الإشارة لمزيد من التأكيد على أن المقصود بالخبر هو المُشار إليه لا غيره . وجاء الخبر في صورة الجملة الاسمية والخبر فيها اسم في صيغة اسم المفعول فيه دلالة على ثبوت تلك الصفة لهم ثبوتًا نهائيًّا قاطعًا ، كما استُعمِل هذان اللفظان (مُتَبَّر ، باطل) لما لهما من دلالة لفظية غير مُستحبَّة للنفس ، فيكون ذلك أدعى للارتداع عن ذلك الطلب ولإدراك الخطأ .

- المدح :

من الدلالات السياقية للجمل التعليلية المدح نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء : ٥٨)

فقوله : (إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ) تعليل للأمر الوارد بصيغة الخبر ، وامتداح ما يأمر به سبحانه ؛ إذ هو لا يأمر إلا بالعدل والإحسان والخير مستخدمًا في ذلك فعل المدح (نعم) في الإخبار عن الله – سبحانه – مع تأكيد ذلك الخبر بـ (إنَّ) .

- الذم :

ومن تلك الدلالات الذم نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ (التوبة : ٩٥)

فقد أمر المولى ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين بالإعراض عن المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد وقد علَّل هذا الأمر بذم المنافقين ووصفهم بالرجس . والرجس : الخبث ، والمراد تشبيههم بالرجس في الدناءة ودنس النفوس ، فهو رجس معنوي[1] .

- التطمين :

يدل التعليل على التطمين في سياق يكون فيه المخاطَب خائفًا نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء : ٦٢) .

([1]) التحرير والتنوير : ١١ / ١٠ .

فإن موسى عليه السلام عندما ردع قومه وزجرهم بقوله : (كَلَّا) لقولهم : (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) علَّل هذا الردع بقوله : (إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) مُريدًا بهذا التعليل تطمينهم وتهدئة روعهم مستخدمًا لذلك أيضًا توكيد الخبر بـ (إِنَّ) ، وتقديم الخبر (معي) فيه تأكيد بمدى قرب ربه منه وثقته بهدايته إياه لما يخلصهم من هذه المحنة ، وقد تضافرت هذه العناصر اللغوية لتثبت الطمأنينة في نفوس أصحاب موسى عليه السلام .

كما أن التعليل في سياق النهي يكون مرادًا به في أغلب الأحيان طمأنة المخاطَب ؛ ففي الطمأنة شيء من الترغيب في الاستجابة للنهي . ومن ذلك قوله تعالى :

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة : ٤٠)

﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (يونس : ٦٥)

- التحذير :

ويأتي التعليل دالًا ومرادًا به التحذير من أمر أُخبر به في جملة المُعلَّل له ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (الإسراء : ٥٣) .

جاء التعليل بقوله : (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) للإخبار بأن الشيطان ينزغ بينهم ، ومحذرًا بهذا التعليل من الاستجابة للشيطان[1] مستخدمًا في ذلك التوكيد بـ(إِنَّ) للخبر بعدها ، كما أكَّد التحذير بوصف العداوة بقوله : (مبين) وقدم الجار والمجرور لمبادرة المخاطَب بالعلاقة بينهما ، أما استعمال (كان) فإشارة لقدم تلك العلاقة المبنية على العداوة واستمرارها، كل تلك العناصر ساهمت في تأكيد المُخبَر به والتحذير من المُخبَر عنه .

ومن التحذير في سياق الأمر قوله تعالى :

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء : ١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحج : ١)

ومن التحذير في سياق النهي قوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان : ١٨)

---

(1) التحرير والتنوير : ١٥ / ١٣٣ .

- الترغيب :

قد تدل الجملة التعليلية في سياق النهي على الترغيب إذا كان السياق يتطلب ذلك كما في قوله تعالى : ﴿ ...وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء : ٢٩) .

(إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) تعليل للنهي وفيه ترغيب في الاستجابة للنهي ؛ وذلك أن الخطاب موجَّه للمؤمنين إذ تبدأ الآية بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ .

ومن الترغيب في سياق الأمر قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة : ١٥٣) .

* في كل الجمل التعليلية في القرآن الكريم التي ترد في سياق الطلب نجد التأكيد دلالة واضحة لتلك الجمل ؛ فإذا نهى الله - سبحانه وتعالى - كان في التعليل دلالة عامة هي توكيد النهي ، وإذا أمر كان للجملة الدلالة نفسها على الأمر ، وكذلك في الاستفهام الإنكاري ، مع وجود دلالة إضافية تلك الدلالة الخاصة التي تطل على القارئ للآية من بين ثنايا السياق يكون لها أثر قوي في إحداث الأثر النفسي المطلوب . أما التبيين فهو دلالة عامة ربما نجدها في الجمل التعليلية في سياق الخبر ، ولكنها تكاد تختفي في الجمل التعليلية في سياق الطلب .

ثانيًا : (لعلَّ) واسمها وخبرها :

(لعلَّ) حرف مُشبَّه بالفعل ، يدخل على الجملة الاسمية فينصب المبتدأ ويرفع الخبر ، وهو في لغة عقيل يجر المبتدأ [١] ، كما أنه يحول الإخبار في الإسناد إلى إنشاء غير طلبي . "وقال بعض النحويين : اللام فيها زائدة مؤكدة وإنما هي (علَّ) ، وأما سيبويه فجعلهما حرفًا واحدًا غير مزيد ، وحكى أبو زيد أن لغة عُقَيْلٍ (لعلِّ زيدٍ منطلقٌ) بكسر اللام من لعلِّ وجر زيدٍ ؛ قال كعبُ بنُ سُوَيْدٍ الغَنَوِيُّ :

فَقُلْتُ : ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعِ الصَّوْتَ ثَانِيًا ... لَعَلِّ أَبِي الْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ "[٢]

وجاء في أشهر معانيه : (الترجي والإشفاق) ويجمعهما التوقع[٣] . والفرق بينهما أن الترجي في المحبوب ، نحو : ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٩) و(لعلَّ الله يرحمنا) والإشفاق في المكروه[٤] ، نحو : ﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ (الشورى : ١٧) و(لعلَّ العدو قادم) ، ولأنَّ الترجي والإشفاق ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله فقد اضطرب كلام النحاة والمفسرين حول معنى (لعلَّ) الواقعة في كلام الله ﷻ . فانقسموا فريقين فريق تبع سيبويه في تفسير (لعلَّ) بأنها ترجٍّ وإشفاق من المخاطبين ، يقول في قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه : ٤٤) "اذهبا أنتما في رجائكما وطمعكما ومبلغكما من العلم"[٥] ، فهي باقية على معناها ، إلا أن الرجاء لما كان غير لائق بالله ﷻ صرفه إلى المخاطَبين .

وممن تبع سيبويه : أبو إسحاق الزَّجَّاج[٦] ، والزمخشريُّ [٧] ، والرضي[٨] ، وأبو حيان[٩].

---

(١) الجنى الداني : ٥٧٩ ، ٥٨٢ ، مغني اللبيب : ١/ ٣١٥ .

(٢) لسان العرب : ٣٠٨٢ .

(٣) الجنى الداني : ٥٧٩ ، ٥٨١ ، مغني اللبيب : ١/ ٣١٧ .

(٤) الجنى الداني : ٥٨٠ .

(٥) الكاب : ١ / ٣٣١ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه : ٢ / 248 .

(٧) الكشاف : ٤ / ٨٤ .

(٨) شرح الكافية : ٤ / ١٢٣٥ .

(٩) تفسير البحر المحيط : ٦ / ٢٣٠ .

أما الفريق الثاني فقال بدلالة (لعلَّ) على التعليل ، وأنها بمعنى (كي) في كلام الله ﷻ . وممن نقل عنهم ذلك القول : يونس[١] ، والكسائي[٢] ، والفرَّاء[٣] ، وقُطرب[٤]، والأخفش[٥] ، وثعلب[٦] ، وابن الأنباري[٧]، وأبو علي الفارسي[٨] ، وابن مالك[٩]. وذلك نحو قوله تعالى : ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام : ١٥٥)وقوله : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(النحل : ١٥)وقوله : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور : ٣١) أي : كي ترحموا ، كي تهتدوا ، كي تفلحوا.

وحُمِل عليه قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾(طه :٤٤) أي : كي يتذكر أو يخشى . فنُقِل عن يونس (ت١٨٢هـ) أنه قال : "ولعل لها مواضع في كلام العرب من ذلك قوله : ﴿لعلكم تذكرون ، لعلكم تتقون ، ولعله يتذكر ﴾ قال معناه : كي تتذكروا ، كي تتقوا ، كقولك : ابعث لي بدابتك لعلي أركبها ، بمعنى : كي أركبها ، وتقول انطلق بنا لعلنا نتحدث ، أي : كي نتحدث "[١٠] .

---

(١) تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢هـ - ٣٧٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ومحمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) ، مادة (علَّ) : ١ / ١٠٦ ، لسان العرب : مادة (علل) : ٣٠٨٢ .

(٢) الجنى الداني : ٥٨٠ ، مغني اللبيب : ١ / ٣١٧ .

(٣) البحر المحيط : ٦ / ٢٣٠ .

(٤) شرح الكافية : ٤ / ١٢٣٤ .

(٥) الجنى الداني : ٥٨٠ ، مغني اللبيب : ١ / ٣١٧ .

(٦) لسان العرب : مادة (علل) : ٣٠٨٢ .

(٧) تهذيب اللغة : مادة (علَّ) : ١ / ١٠٦ ، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : ١/ ٤٢٥ .

(٨) شرح الكافية : ٤ / ١٢٣٤ .

(٩) شرح التسهيل : جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك ، تحقيق : عبد الرحمن السيد وبدوي المختون ، هجر للطباعة ، القاهرة ، ط١ ، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) : ٢/ ٧ ، حاشية الصبان : ١ / ٤٢٤.

(١٠) لسان العرب : مادة (علل) : ٣٠٨٢ .

والكوفيون يذهبون إلى أن (لعلَّ) تأتي للتعليل بمعنى (كي) وينشدون :

فَأَبْلُونِي بَلِيَّتَكُمْ لَعَلِّي أُصَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرِجْ نَوَيَّا [1]

وهي عندهم في كلام الله تعالى للتعليل المحض مجردة من معنى الترجي لاستحالته عليه عز وجل[2] . ونُقِل عن ابن مالك مثل ذلك ، "قال : (لعلكم) في القرآن بمعنى (كي)، غير آية ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ (الشعراء : ١٢٩) بمعنى : كأنكم تخلدون"[3] .

أما ابن يعيش فيأخذ بالقولين : " لعلَّ ترجٍّ ... إلا أن خبرها مشكوك فيه ، وخبر إنَّ يقين ... إلا أنها إذا وردت في التنزيل كان اللفظ على ما يتعارفه الناس ، والمعنى على الإيجاب بمعنى كي لاستحالة الشك في أخبار القديم سبحانه ... هكذا جاء في التفسير ... وفي قوله تعالى : ﴿ اِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(٤٤)﴾ (طه) أي اذهبا على رجائكما وطمعكما من فرعون ... وفي قوله : ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج : ٧٧) معناه : كي تفلحوا ، أي من عمل بالطاعة وانتهى إلى أوامر الله كان الفلاح مرجوًّا له"[4] . وهو بتفسيره الأخير قد جمع بين العلاقة السببية والرجاء ، تلك العلاقة التي تجمع الأمر بخبر لعلَّ .

---

(1) مغني اللبيب : ٢ / ٤٨٦ . أبلوني : أعطوني . بليتكم : الناقة يربطونها على قبر صاحبها حتى تموت . نويا :أصلها (نواي) والنوى : الجهة التي ينويها المسافر .

(2) تعليل الأحكام (عرض وتحليل لطريقة التعليل وتطوراتها في عصور الاجتهاد والتقليد) : محمد مصطفى شلبي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) : ١٦٠ .

(3) معترك الأقران في إعجاز القرآن : أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي ، (٩١١هـ) ، ضبط وتصحيح وكابة فهارس : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) : ٢ / ٢٩١ .

(4) شرح المفصل : ٨ / ٨٦ .

أما المفسرون ، فمنهم من قال بدلالتها على الرجاء من المخاطَبين بدون قيد[1] ، ومنهم من قال بدلالتها على معنى (كي) وفسرها بها أو باللام في جميع المواضع[2] . وأكثرهم يفسرها على معنى (كي) أحيانًا ، وعلى معنى الرجاء من المخاطَبين أحيانًا أخرى[3] . وفي بعض المواضع يُربَط بين التعليل والرجاء دون تحديد ممن الرجاء[4] .

ونقل الزركشي[5] عن البغوي أن جميع ما جاء في القرآن من (لعلَّ) فإنها للتعليل إلا قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ (الشعراء : ١٢٩) فإنها للتشبيه .

ويجمل ابن الشجري[6] الأقوال في (لعلَّ) الواردة في كلام الله ﷻ في ثلاث :

١- أن ما جاء من هذا في كلام الله ﷻ فهو على شك المخاطَبين ، فكأنه قيل : افعلوا ذلك على الرجاء منكم والطمع أن تعقلوا ، وأن تذكروا ، وأن تتقوا . وإلى هذا ذهب سيبويه كما ذكرنا.

٢- أنَّ العرب استعملت (لعلَّ) مجردة من الشك بمعنى (لام كي) ، فالمعنى : لتعقلوا ولتذكروا ولتتقوا .

---

(١) المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ، في المواضع التي فسَّر فيها (لعلَّ) ، ومنها على سبيل المثال : ١ / ٢٢٦ ، ٢ / ٢٩١ ، ٢٩٤ .

(٢) ومنهم الطبري في تفسيره : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق : بشار عواد معروف ، وعصام فارس الحرستاني ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ، ومنها على سبيل المثال : ٣ / ٢٥٤ ، ٤ / ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٢٣ ، ٦ / ١١٣ . والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٣٢٧ .

(٣) البغوي يفسرها بمعنى (كي) ، وبمعنى الرجاء من المخاطَبين . يُنظَر تفسيره معالم التنزيل : محيي السنة الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، (٥١٦هـ) ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وزميليه ، دار طيبة، الرياض ، ١٤٠٩هـ : ١ / ١٦٦ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، و٢ / ١٠٣ ، و٤ / ٢١١ . يغلب في تفسيره تفسير (لعلَّ) بكي .

(٤) يُنظَر على سبيل المثال تفسير أبي حيَّان : ١ / ٢٣٥ ، و٢ / ٣٦ ، ١٦٩ ، و٤ / ٣٦٩ ، و٥ / ٣١٤ . والتحرير والتنوير : ٢ / ٤٧ ، ١٥٨ ، و٧ / ٢٢٧ ، ٢٤٥ ، و٩ / ٦٣ – ٦٤ .

(٥) البرهان : ٤ / ٣٩٤ .

(٦) الأمالي : ١ / ٧٦ – ٧٧ ، المجلس الثامن .

٣- أن تكون (لعلَّ) بمعنى التعرض للشيء ، كأنه قيل : افعلوا ذلك متعرضين لأن تعقلوا ، أو لأن تذكروا ، أو لأن تتقوا .

ويرى عباس حسن أنَّ (لعلَّ) في كلام الله تعالى يكون معناها التحقيق حينًا ، والقطع حينًا ، والرجاء أو الإشفاق منسوبًا إلى الذي يدور بصدده الكلام لا إلى المولى جلَّ شأنه[١].

ويخطِّئ عبد السلام هارون[٢] قطربًا ومن نحا نحوه في تفسير (لعلَّ) بكي ، ويرتضي ما ارتضاه شارح الكافية ، وهو رأي سيبويه من أن الرجاء والإشفاق تعليق بالمخاطَبين، ويعلِّل ذلك بأن هذا التأويل يحفظ المعنى اللغوي للكلمة ويبتعد عن الزلل الديني .

من أجل ذلك كله لا نستبعد إفادة التعليل بـ(لعلَّ) ، وعندئذ يكون خبرها – كما يظهر فيما سيق من أمثلة – جملة فعلية فعلها مضارع ، ويغلب أن تسبق (لعلَّ) بأمر(طلب) . وقد يؤكد مجيء (لعلَّ) للتعليل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾(الأنبياء : ٣١) إذ جعل في الأرض رواسي وفجاجًا ، وذكر بعد هذا الجعل تعليل له بقوله : ﴿ أن تميد بهم ﴾ ، وذكر بعد الجعل الثاني قوله : ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ ، فيُرجَّح أن يكون تعليلًا له ، أي : كي يهتدوا . ويماثله في ذلك قوله : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(النحل : ١٥) .

ومثل ذلك في تأييد معنى التعليل بلعلَّ قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الجاثية : ١٢) فقد علَّل تسخير البحر بقوله : ﴿ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ﴾ وعطف عليه تعليل آخر بقوله : ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ وعطف على ذلك بالواو قوله : ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ وهو تعليل على ما نرجح جريًا على ما سبقه إذ عُطِف عليه فكأنه قيل : (لتجري الفلك فيه ولتبتغوا من فضله ولكي تشكروا ذلك) .

أما تعليلها فهو تعليل بالغرض ، كما أشار الصبَّان إلى أن ما بعد (لعلَّ) الإطماعية صالح لكونه غرضًا مما قبلها[١] ؛ إذ إنها بمعنى (كي) كما تبيَّن ، فقوله : (اعمل عملك لعلَّك تأخذ

---

(١) النحو الوافي : ١ / ٦٣٦ ، هامش (١) .

(٢) الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) : ٥٢.

أجرك) فيه أن أخذ الأجر هو الغرض من عمل العمل أو الأمر به ، وهو في الذهن والتصور سابق للعمل أو الأمر ومسبّب له ، وفي الخارج والتحقق تالٍ له ومسبَّب عنه . ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف : ٤٦) فلعلَّ في الموضعين تحمل معنى التعليل بالغرض ، ذلك أنَّ للإفتاء غرضين : الأول قريب وهو رجوع صاحبه إلى الناس (لعلي أرجع) وهو ليس منتهى المراد من الإفتاء ، والثاني – وهو منتهاه – أن يعلم الناس به (لعلهم يعلمون) . والإفتاء سبب للرجوع كما أنه هو والرجوع سبب لعلم الناس ، هذا في الخارج والتحقق ، أما في الذهن والتصور فإن إعلام الناس سبب للإفتاء والرجوع .

وإذا كانت (لعلَّ) تفيد التعليل بالغرض فقد ابتعد عن الصحة والصواب من جعل منه قول الشاعر :

تَأَنَّ ، وَلَا تَعْجَلْ – بِلَوْمِكَ صَاحِبًا لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ [٢]

إذ لا تؤدي (لعلَّ)هنا معنى (كي) وليس ما بعدها غرضًا .

وفضلًا عن كل ما تقدم يرى ابن مالك أن مجيء(لعلَّ) للترجي يكون معه تعليل في الغالب ومثَّل له بآية سورة يوسف المتقدمة ، وبقوله عز وجلَّ : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة : ١٨٩ ، آل عمران : ٢٠)[٣] .

وهذا يؤدي بنا إلى القول أنَّ التعليل بلعلَّ يصحبه معنى الترجي . فإن كان ذلك في كلام الله جلَّ اسمه فالترجي ليس منه تعالى بل من العباد أو المخاطَبين[٤] .

ولعلَّنا بعد استعراض الأنماط التي وردت فيها (لعلَّ) في القرآن الكريم في مواضع فُسِّرَت بأنها تعليل ، نعود للتعليق على ما سبق من آراء في ضوء ما تمليه النصوص القرآنية .

---

(١) حاشية الصبَّان : ١ / ٤٢٥ .

(٢) النحو الوافي : ٦٣٥/١ (هامش : ٣) .

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح : ١٩٨.

(٤) الجنى الداني : ٥٧٩ .

صور التعبير عن الجمل التعليلية المصدَّرة بـ(لعلَّ) في القرآن الكريم :

النمط (١) : طلب أو خبر + (لعلَّ + ضمير + فعل مضارع) :

أ- طلب أو خبر من الله ﷻ :

كقوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام : ٥١) ، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه:٤٤) ، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (الأنعام : ٤٢) ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة : ١٨٣) .

ب- طلب من البشر وإخبار عنهم :

كقوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف : ٤٦) ، ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأنبياء : ٥٨) .

الأمثلة القرآنية السابقة تمثل استعمال الجمل التعليل (لعلَّ + ضمير + فعل مضارع) في سياقات مختلفة نحاول أن نتبين من خلالها استعمال هذه الجمل في التعليل .

لقد سبق القول إن الأصل في معنى (لعلَّ) الرجاء والإشفاق ، كما سبق الحديث عن الاختلاف في تفسير (لعلَّ) الواقعة في كلام العليم الخبير .

ويُلاحَظ في أمثلة هذا النمط أن الجمل المصدَّرة بـ (لعلَّ) جاءت في سياقين اثنين :

١- سياق الطلب : وهو إمَّا أمر منه سبحانه ، أو طلب محكي على لسان البشر . أمَّا الرجاء بعد الأمر منه ﷻ ففيه وجهان :

أحدهما : التعليل بالرجاء[١] ، لأن الله سبحانه خاطب الناس بحسب مبلغهم من العلم، وبحسب استعمالهم للغة ، وليكون في الترجي حث لهم على الامتثال للطلب .

والوجه الثاني : أن يكون من باب الحال من المخاطَبين ؛ كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة : ٩٠) أي : "رجاء لهم أن يفلحوا عند اجتناب هذه المنهيَّات إذا لم يكونوا

---

(١) تفسير أبي حيان : ٤ / ١٣٨ في تفسيره للآية (الأنعام : ٥١) بجملة شرطية ، ويُنظَر تفسير ابن عاشور : ٧ / ٢٤٥ .

قد استمروا على غيرها من المنهيَّات"[1] ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام : ٥١) أي : "ترجئة لحصول تقواهم إذا حصل الإنذار"[2] ، وقوله تعالى : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه : ٤٤) بمعنى : "وقولا له قولًا لينًا ، على أن تكونا راجيين لأن يتذكر هو أو يخشى"[3] .

أمَّا الرجاء بعد الطلب المحكي عن البشر فلا إشكال في ورود الرجاء من البشر . ففي قوله تعالى : ﴿ ... لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف : ٤٦) تعليل بالرجاء لطلب الفُتيا ثم للرجوع[4] .

٢- سياق الخبر : وفي هذا السياق تحتمل الجمل المصدَّرة بـ (لعلَّ) التفسير الأول – التعليل بالرجاء- ولا تحتمل التفسير الثاني – أن تكون من باب الحال من المخاطَبين – وفي هذا السياق جاء التعليل في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (الأنعام : ٤٢) ، وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣) . وفيه وقع بعض المفسرين ممن تمسكوا بالقول بدلالتها على الرجاء من المخاطَبين في اختلاف ، فالزَّجَّاج مثلًا يقول : "ومعنى لعلَّ ترجٍّ ، وذا الترجي للعباد ، أخذهم الله بذلك ليكون ما يرجوه العباد منه بالتضرع كما قال ﷻ في قصة فرعون : ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ، قال سيبويه : المعنى : اذهبا على رجائكما ، والله أعلم بما يكون وراء ذلك"[5] . أمَّا ابن عطية فيقول : "أي لو رأى أحد ذلك لرجا تضرعهم بسببه"[6] . فالزجَّاج ربط بين جملة الرجاء وما قبلها بجملة تعليلية (ليكون) ثم عاد للاستشهاد برأي سيبويه ، وابن عطية جلب عنصرًا من خارج السياق افترضه ليستطيع الإبقاء على دلالة (لعلَّ) على الرجاء ، ومع ذلك فسَّر العلاقة بين تركيب لعلَّ وما قبله بالسبب. أمَّا ابن عاشور

---

(١) التحرير والتنوير : ٧ / ٢٥ .
(٢) البحر المحيط : ٤ / ١٣٨ .
(٣) التفسير الكبير : ٢٢ / ٥٩ .
(٤) روح المعاني : ١٢ / ٢٥٤ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ٢٤٨ ، الآية (الأنعام : ٤٢) .
(٦) المحرَّر (تفسير ابن عطية) : ٢ / ٢٩١ ، الآية (الأنعام : ٤٢) .

فقد فسر كما اقتضى السياق ، حيث يقول : " و(لعلَّ) للترجي . جُعِل علة لابتداء أخذهم بالبأساء والضراء قبل الاستئصال"[1] .

وفي مثل هذا السياق اضطر أبو حيان لأن يعود للقول بالعلاقة السببية بين (لعلَّ) وما قبلها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة : ١٨٣) حيث يقول : "تتقون : الظاهر تعلق لعلَّ بكُتِب ، أي سبب فريضة الصيام ، وهو رجاء حصول التقوى لكم"[2] . أمَّا ابن عاشور فيقول مصرِّحًا : " ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بيان لحكمة الصيام ، وما لأجله شُرِع ، فهو في قوة المفعول لأجله لكُتِب ..."[3] .

إن إشارات المفسرين وتصريحاتهم أحيانًا بالعلاقة السببية بين تركيب (لعلَّ) وما قبلها يجعلنا نعود لقول سيبويه الذي يحتجُّ به القائلون بدلالتها على الترجي فقط . نجد أن سيبويه لم يستدل إلا بهذه الآية ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه : ٤٤) ، وهي (لعلَّ) في سياق طلب . ثم إنه تمثَّل بها على أن "العباد إنما كُلِّموا بكلامهم ، وجاء القرآن بلغتهم ، وعلى ما يعنون"[4] ، فاستعمال الرجاء من الله ﷻ استعمال مبني على لغة المخاطَبين واستعمالاتهم ؛ فهو سبحانه يخاطبهم بعلمهم الذي لا يمتد إلى الغيب ، ولتبقى حالة الحدث قابلة للوقوع أو لعدم وقوعه ، وإن كان سبحانه يعلم بما سيحدث من العباد . فإن حصل منهم ما يُرتَجَى وما يُطلَب من البشر ، استحقوا الثواب والجزاء الذي أقرَّه الله سبحانه ، وإن لم يحصل منهم فقد سقطت حجتهم على الله ﷻ [5] .

من ذلك يتبيَّن أن جملة (لعلَّ) جاءت تعليلًا لما قبلها ، وقد أشار الصبَّان إلى أن ما بعد (لعلَّ) الإطماعية صالح لكونه غرضًا مما قبلها[6] .

---

(١) التحرير : ٧ / ٢٢٧ .
(٢) البحر المحيط : ٢ / ٣٦ .
(٣) التحرير : ٢ / ١٥٨ .
(٤) الكاب : ١ / ٣٣١ .
(٥) التحرير والتنوير : ٩ / ٦٣ - ٦٤ .
(٦) حاشية الصبَّان على الأشموني : ١ / ٤٢٥ .

ثم إن هذه الجمل المصدَّرة بـ(لعلَّ) جاءت متممة لجمل قبلها طلبية أو خبرية . فهي في موقع مفعول لأجله ، لكن (لعلَّ) أضافت إلى هذا المفعول لأجله معنى الرجاء ؛ لذلك لم تخلُ هذا الجملة المعلَّل بها من معنى الرجاء .

النمط (٢) : خبر أو طلب معلَّل له + (واو + لعلَّ + ضمير + فعل مضارع) :

كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٠) ، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٤) ، ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٤٤) ، ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف : ١٦٤) .

في هذا النمط تأكيد لدلالة جملة (لعلَّ) على التعليل ؛ وذلك بما جاء فيه من آيات عُطِفت فيها الجمل على جمل معلَّل بها بأحد أساليب التعليل المعروفة كاللام أو المصدر .

فالآيات الثلاث الأولى كلام عن الله ﷻ بعضه خبر وبعضه طلب ، فُسِّر ما بعد الواو بأنه علة أخرى أو حكمة أخرى ، أو عطف على بقية العلل ، وفسرها الزمخشري بكلمة (إرادة) على المصدر ، هذا عدا تفسير القائلين بأنها بمعنى (كي)[1] .

أمَّا الآية الرابعة في النمط فإنها حكاية عن البشر لذلك يصحُّ فيها القول بالرجاء من المتكلم مع بقاء العلاقة السببية بين أسلوب الرجاء وجملة (لعلَّ) قبله ، خصوصًا وقد عُطِف هذا

---

(١) (البقرة : ١٥٠) : تفسير البغوي : ١ / ١٦٦ ، وتفسير أبي حيَّان : ١ / ٦١٦ ، وتفسير ابن عاشور : ٢ / ٤٧ . (النحل : ١٤) : تفسير ابن عاشور : ١٤ / ١٢٠ . (النحل: ٤٤) : تفسير الزمخشري : ٣ / ٤٣٨ ، وتفسير أبي حيَّان : ٥ / ٤٧٩ . وقد فسَّراها بقولهما : " وإرادة أن يصغوا ..." ونلحظ هنا استعمال لفظ المصدر الدالِّ على المفعول لأجله .

الأسلوب على المصدر (معذرة) الذي يشغل وظيفة المفعول لأجله[1] ، ويبدو أن إعرابها مفعولًا لأجله هو أقرب الوجوه للصحة ؛ لأن السؤال بـ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ... ﴾ أُجيب عنه بقولهم ﴿ مَعْذِرَةً ... ﴾ كما أنه لا يحتاج إلى تقديرات . قال ابن عاشور : "وقوله ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ علة ثانية للاستمرار على الموعظة ؛ أي رجاء لتأثير الموعظة فيهم بتكرارها ... "[2] .

وقال أبو حيَّان: "ولطمعنا في أن يتقوا"[3] فجمع بين حرف التعليل ومعنى لعلَّ في الآية. أمَّا محيي الدين درويش في إعرابه فجعل جملة الرجاء حالية[4] ، وأظن أنه ابتعد عن المعنى الأقرب للسياق ؛ لأن جملة الرجاء معطوفة على (معذرة) التي لم تُفسَّر أو تُعرَب في وجوهها الثلاثة بأنها حال ، ثم إن الوعظ كان للاعتذار ولرجاء أن يعود الموعوظون عن ضلالهم فيتقوا الله .

إن كل ما سبق واستدل عليه بأقوال المفسرين من دلالة جملة (لعلَّ) على التعليل مع احتفاظها بمعنى الرجاء جاء به السهيلي في قوله : " (لعلَّ) تعطى للترجي ، وذلك الترجي مصروف إلى الخلق ... ، وإنما جاز ذلك في (لعلَّ) على شرط وصورة ، نحو أن يكون قبلها فعل وبعدها فعل ، والأول سبب الثاني ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠) فقال بعض الناس : (لعلَّ) هاهنا بمعنى (كي) أي : كي تذكروه . وأنا أقول : لم يذهب منها معنى الترجي ؛ لأن الموعظة مما يُرجى أن تكون سببًا للتذكر ، فعلى هذه الصورة وردت في القرآن"[5] .

وقبل أن ننهي الحديث حول (لعلَّ) نود أن نشير إلى بعض الملاحظات في أحوال استعمال (لعلَّ) في القرآن الكريم :

---

(1) الدر المصون : ٥ / ٤٩٥ ، إعراب القرآن الكريم وبيانه : محيي الدين الدرويش ، دار الإرشاد للشئون الجامعية ، حمص – سوريا ، ط٣ ، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) : ٣ / ٤٨٣ .

(2) التحرير والتنوير : ٩ / ١٥٢ .

(3) البحر المحيط : ٤ / ٤٠٩ .

(4) إعراب القرآن الكريم : ٣ / ٤٨٣ .

(5) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١هـ) ، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، بدون تاريخ : ٦ / ٣٣٠ .

١- أنه ﷻ لم يسند خبر (لعلَّ) إلى ضمير الذات العلية (لعلّي ، لعلنا) في كل المواضع التي كان الكلام فيها عنه ﷻ . فلم يقل مثلًا : لعلي أرحمكم ، بل أُسنِد إلى ضمير الخطاب أو الغيبة مع بناء الفعل الصادر منه تعالى للمجهول ، وربما يكون في ذلك تنزيه منه سبحانه لذاته عن حال الراجي التي يمكن أن يوحي بها السياق . ودلالة على صرف الرجاء إمَّا إلى حال العباد ، أو إلى خطابهم بحسب علمهم دون الإيجاب لهم لحثهم على الامتثال للأمر أو الأخذ بموجب الخبر .

٢- في الأنماط السابقة نجد أن (لعلَّ) جاءت متصدرة جملًا تتميز بالبساطة مع مجيء خبرها جملة فعلية فعلها مضارع ، وكما أنها غير مُطوَّلة . والجمل التي جاءت قبلها جميعها جمل فعلية ، بذلك توسطت لعلَّ بين فعلين . أمَّا اسم (لعلَّ) الذي يشغل وظيفة المُسنَد إليه فقد جاء ضميرًا يعود إلى المخاطَبين أو الغائبين في الكلام الوارد عنه ﷻ أمَّا الكلام المحكي عن البشر فقد يأتي بضمير المتكلم (الياء) أو (نا الفاعلين) .

٣- وقد ارتبطت هذه الجمل بما قبلها في السياق بعنصر إحالي على عنصر إشاري في الجمل السابقة عليه ، هذا العنصر شغل وظيفة اسم (لعلَّ) كما شغل وظيفة فاعل الفعل في خبر (لعلَّ) .

٤- إن دخول (لعلَّ) على الجملة التي خبرها جملة فعلية فعلها مضارع خلص دلالة الفعل المضارع للاستقبال ، وأصبح زمن الحدث مستقبلًا .

ومن دلالات التعليل للجمل المصدَّرة بـ (لعلَّ) :

ترتبط الجمل التعليلية المصدَّرة بـ(لعلَّ) بما قبلها - شأنها في ذلك شأن الجمل التعليلية المصدَّرة بـ(إنَّ) - فهي ترتبط به ارتباطًا غير تلازمي يعتمد على المعنى والسياق . و(لعلَّ) من الحروف الناسخة الدالة على الترجي ، والأسلوب المصدَّر بـ(لعلَّ) أسلوب إنشائي غير طلبي .

لقد فُسِّرت (لعلَّ) - كما رأينا - بمعنى (كي) عند بعض المفسرين تجنبًا للقول بالرجاء على الله ﷻ ، وفُسِّرت بمعنى الرجاء من المخاطَبين عند سيبويه ومن رأى رأيه من النحاة والمفسرين .

ولا يخلو الأمر عند التعليل بالجمل المصدَّرة بـ (لعلَّ) من أن يكون للرجاء نصيب من دلالة تلك الجمل سواء أكان الرجاء من المتكلم مباشرة إذا كان الكلام محكيًّا عن البشر أم كان الرجاء من المخاطَبين بطريق غير مباشر عندما يكون الكلام للمولى ﷻ .

والجمل التعليلية المصدَّرة بـ(لعلَّ) يكون خبر (لعلَّ) فيها جميعًا جملة فعلية ، فالمقصود من الجملة هو ذلك الفعل في خبر (لعلَّ) ، ويمكن القول إن الجملة التعليلية المصدَّرة بـ(لعلَّ) تحمل دلالة ظاهرة وهي الترجي ودلالة أخرى تكون في منزلة دون الأولى هي الإشارة إلى استحقاق المعلَّل له بمضمون خبر (لعلَّ) ؛ ففي قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام : ٥١) فقوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يدل على رجاء تقواهم من الرسول ﷺ ، والمنذَر به يستحق أن يتقي .

في حين تكون الضراعة والعودة إلى الله هي المطلوبة من الأخذ بالبأساء والضراء في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (الأنعام : ٤٢) . فدلَّ التعليل بترجي الضراعة على أن المطلوب في تلك المواقف (البأساء والضراء) الرجوع إلى الله والضراعة إليه بكشف الضر وهي مما يُرجَى فيها الضراعة إلى الله والعودة إليه .

وكذلك كانت نعم الله ﷻ مُستحِقَّة للشكر في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ١٤) . فالتعليلات الأولى جاءت مُثبَتة في أسلوب خبري (لتأكلوا وتستخرجوا وتبتغوا) ، أمَّا التعليل الأخير المعطوف على الأولى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ كان أسلوب إنشائي ؛ إذ هو غير متحقق الوقوع من البشر ، وإنما دلَّ على استحقاق تلك النعم

للشكر، وتلك النعم مما يُرجَى أن تكون سبباً للشكر ، وهكذا فإننا نجد الأفعال الواقعة في خبر (لعلَّ) يتناسب معناها مع ما يكون في الجمل المعلَّل لها .

إن الجملة التعليلية المصدَّرة بـ(لعلَّ) تكون بمعنى (كي) ، ولكن معنى الترجي لم يذهب منها كما يقول السهيلي[1] ، ففي قوله تعالى : ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٩٠) الموعظة مما يُرجَى أن تكون سبباً للتذكر .

([1])الروض الأنف : ٦ /٣٣٠ .

ثالثًا : التعليل في التركيب الشرطي :

معنى الشرط أن يقع أمر لوقوع غيره[1] ؛ أي : أن يتوقف وجود الثاني على وجود الأول ، فيكون الأول سببًا وعلة في الثاني ، وهذا هو الأصل في الشرط[2] ؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾ (البقرة :١٩١) ، وقوله : ﴿فَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ (البقرة : ٢٨٠) .

وقد رأى أغلب النحاة - ومنهم ابن هشام - أنه لابد أن يكون جواب الشرط مسبَّبًا عن الشرط ، وأنَّ الارتباط بينهما قائم على السببية ، وما لم يكن كذلك تأوَّلوه ، فقوله تعالى مثلًا : ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ﴾ (العنكبوت : ٥) قُدِّرَ فيه جواب محذوف "لأن الجواب مسبَّب عن الشرط ، وأجل الله آت سواء أَوُجِدَ الرجاء أم لم يُوجَد ، وإنما الأصل فليبادر بالعمل فإن أجل الله لآت"[3] . وكذلك قول رؤبة :

يَا رَبُّ إِنْ أَخْطَأْتُ أَوْ نَسِيتُ فَأَنْتَ لَا تَنْسَى وَلَا تَمُوتُ[4]

قال ابن جني : "إن حقيقة الشرط وجوابه أن يكون الثاني مُسبَّبًا عن الأول نحو قولك : (إن زُرتَني أكرمتُكَ) فالكرامة مسبَّبة عن الزيارة ، وليس كون الله سبحانه غير ناسٍ ولا مخطئًا أمرًا مُسبَّبًا عن خطأ رؤبة ، ولا عن إصابته ، إنما تلك صفة له – عزَّ اسمُه- من صفات نفسه. لكنه كلام محمول على معناه ، أي : إن أخطأتُ أو نسيتُ فاعفُ عني لنقصي وفضلك . فاكتفى بذكر الكمال والفضل وهو السبب من العفو وهو المسبَّب"[5].

وما عليه طائفة أخرى من النحاة - ومنهم الصبان والرضي والزركشي - أنه لا يلزم أن يكون الجواب مسبَّبًا عن مضمون جملة الشرط . فالشرط قد يخرج عن الأصل فلا يكون الثاني فيه مسبَّبًا عن الأول ولا متوقفًا عليه ولا علاقة لوقوعه بوقوعه ، كقوله عز وجل :

---

(1) المقتضب : ٢/ ٤٥ .
(2) شرح المفصل : ٨/ ١٥٦ .
(3) مغني اللبيب : ٢/ ٧٤٥ .
(4) الخصائص : ١٧٥/٣ .
(5) الخصائص : ٣ / ١٧٥ .

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران : ٣٢) فليس توليهم أو عدمه هو ما يسبب عدم حب الله الكافرين ولا الثاني متوقف على الأول ، وكذا قوله : ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ (فاطر : ١٤) فعدم سماع الدعاء غير متسبَّب عن الدعاء وهم لا يسمعون سواء دعوهم أم لم يدعوهم ، كما أن عدم الاستجابة غير متسبَّب عن عدم السماع ، فهم لم يستجيبوا سواء أسمعوا أم لم يسمعوا .

بل قد تحتمل بعض الجمل الشرطية أن يكون فيها الأول متسبِّبًا عن الثاني كما نلاحظ هذا في قوله ﷻ : ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة : ١١٨) .

وعلى ذلك لا يكون التركيب الشرطي دائمًا يتسبب فيه الثاني عن الأول ، وإنما الأصل فيه أن يكون كذلك ؛ لذا جعله الصبان قسمين : "أحدهما أن يكون مضمونه مُسبَّبًا عن مضمون الشرط ، نحو : إن جئتني أكرمتك . والثاني : أن لا يكون مضمون الجواب مُسبَّبًا عن مضمون الشرط وإنما يكون الإخبار به مُسبِّبًا ؛ نحو : إن تكرمني فقد أكرمتك أمس، والمعنى : إن اعتددت عليَّ بإكرامك إياي فأنا أيضًا أعتد عليك بإكرامي إياك"[1] والرضي لم يُسلِّم أن الشرط سبب والجزاء مُسبَّب دائمًا ؛ إذ إن الشرط عند النحاة ملزوم والجزاء لازمه سواء كان الشرط سببًا أم لا ؛ كقولك : (إن كان النهار موجودًا كانت الشمس طالعة)[2].

ويؤيد ما سبق ما نقله الزركشي في البرهان ، قال : "قال صاحب المستوفى : اعلم أن المجازاة لا يجب فيها أن يكون الجزاء موقوفًا على الشرط أبدًا ، ولا أن يكون الشرط موقوفًا على الجزاء أبدًا ؛ بحيث يمكن وجوده ، ولا أن تكون نسبة الشرط دائمًا إلى الجزاء نسبة السبب إلى المسبَّب ، بل الواجب أن يكون الشرط بحيث إذا فرض حاصلًا لزم مع حصوله حصول الجزاء ، سواء كان الجزاء قد يقع لا من جهة وقوع الشرط كقول الطبيب : من

---

(١) حاشية الصبان : ٤/ ٣٣ .

(٢) حاشية الصبان : ٤/ 33 .

استحم بالماء البارد احتقنت الحرارة باطن جسده ؛ لأن احتقان الحرارة قد يكون لا عن ذلك ، أو لم يكن كذلك كقولك : إن كانت الشمس طالعة كان النهار موجودًا .

وسواء كان الشرط ممكنًا في نفسه كالأمثلة السابقة ، أو مستحيلًا كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (الزخرف : ٨١) .

وسواء كان الشرط سببًا في الجزاء ووصله إليه كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ (محمد : ٣٦) أو كان الأمر بالعكس كقوله ﷻ : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ (النساء : ٧٩) ، أو كان لا هذا ولا ذاك ، فلا يقع إلا لمجرد الدلالة على اقتران أحدهما بالآخر كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف : ٥٧) إذ لا يجوز أن تكون الدعوة سببًا للضلال ومفضية إليه ، ولا أن يكون الضلال مفضيًا إلى الدعوة"[١] .

كما أن هناك ارتباطًا تلازميًّا بين جملة الشرط وجوابه ؛ أي أن هناك قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر . ويتم الربط بالضمير العائد الذي تبدو فيه المطابقة ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ ... وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ... ﴾ (فاطر : ١٨). فالضمير المستتر في كان كما يقول النحاة عائد مفهوم من الفعل (تدع) أي ولو كان المدعو ذا قربى[٢] .

صور التعبير عن العلة والسببية في التركيب الشرطي :

١-الشرط الوجودي / الوجوبي :

وهو الشرط الذي ترتبط فيه جملة الشرط بجملة الجواب ارتباطا سببيًّا ، فيكون الأول سببًا للثاني ، وكلاهما متحقق ، وأداة هذا النوع (لَمَّا) التعليقية[٣] الوجودية / الوجوبية "فهي

---

(١) البرهان : ٢/٣٥٥-٣٥٦ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء – المغرب (١٩٩٤م) : ٢١٣ ، ٢١٥ .

(٣) الجنى الداني : ٥٩٤.

حرف وجود لوجود أو حرف وجوب لوجوب"[1] أي : حرف يقتضي وجود جوابه لوجود شرطه وهي "للأمر الذي وقع لوقوع غيره"[2]. فهي لذلك في مقابلة (لو) في الشرط الامتناعي؛ إذ إن "(لو) حرف لانتفاء الثاني لانتفاء الأول ، و (لمَّا) لثبوت الثاني لثبوت الأول" [3].

ومن الشرط الوجودي قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (يونس : ٩٨) فإيمان قوم يونس (مضمون جملة الشرط)هو سبب كشف العذاب عنهم (مضمون الجواب).

وقد يكون منه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ... ﴾ (يونس : ١٣) ، قال أبو حيان في هذا الموضع : "ولفظة (لمَّا) مشعرة بالعِلّية وهي حرف تعليق في الماضي"[4] ، وقال مثل ذلك في قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ... ﴾ (الكهف : ٥٩) "إشعار بعلة الإهلاك وهي الظلم ، وبهذا استدل الأستاذ أبو الحسن بن عصفور على حرفية (لمَّا) ، وأنها ليست بمعنى حين ؛ لأن الظرف لا دلالة فيه على العلية"[5] .

٢-الشرط الامتناعي :

وفي هذا النوع يكون مضمون جملة الشرط سببًا لوقوع الجواب ، وهو ممتنع الوقوع ؛ لذا فالمسبَّب (وهو مضمون الجواب)ممتنع الوقوع كذلك لأنه مرتبط به ومترتب عليه . وأداة هذا النوع هي(لو) فهي عند سيبويه : "لما كان سيقع لوقوع غيره"[6] ، أو "هي حرف امتناع لامتناع"[7] . وذلك كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ... وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) فكونه فظًّا غليظ القلب يتسبب منه انفضاضهم من حوله ،

---

(١) الجنى الداني : ٥٩٤ .
(٢) الكاب : ٤ / ٢٣٤ .
(٣) شرح الرضي : ٣ / ٢٣٠ .
(٤) البحر المحيط : ٥ / ١٣٤ .
(٥) البحر المحيط : ٦ / ١٣٣ .
(٦) الكاب : ٤ / ٢٢٤ .
(٧) الجنى الداني : ٢٧٢ .

لكنه لم يكن كذلك فلم ينفضوا . وكذا قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (المائدة : ٤٨) ، ومثله أيضًا قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ... ﴾ (الأعراف : ١٧٦) "فدلَّت هنا على أمرين : أحدهما : إن مشيئة الله لرفعه منتفية ، ورفعه منتفٍ ؛ إذ لا سبب لرفعه إلا المشيئة . والثاني : استلزام مشيئة الرفع للرفع ؛ إذ المشيئة سبب والرفع مسبَّب"[١].

وهكذا فتدل (لو) الشرطية على أن مضمون جملة الشرط أمر لم يحدث وافتُرِض حدوثه لبيان ما يتسبَّبُ عنه ولهذا فُسِّر قول سيبويه في (لو) المذكور آنفًا من أنها لما كان سيقع لوقوع غيره[٢] بأن معناه : "إنك إذا قلت : لو قام زيد قام عمرو ، دلَّت على أن قيام عمرو كان يقع لو وقع من زيد"[٣] .

٣-الشرط الامتناعي الوجودي :

تنعقد في هذا الشرط علاقة سببية بين الذي يكون موجودًا وجوابه الذي يكون ممتنعًا ، ووجود الشرط فيه سبب لامتناع الجواب ، وأداته المعبَّر بها في القرآن الكريم هي (لولا) ، فهي "حرف امتناع لوجوب"[٤] أو "حرف لما كان سيقع لانتفاء ما قبله"[٥] فتدل على امتناع جواب الشرط لوجود فعل الشرط ، ويقتضي عندئذ مبتدأ يكون خبره محذوفًا[٦] . من ذلك قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ... ﴾ (الأنفال : ٦٨) وقوله : ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ (هود : ٩١) ، فمسُّ العذاب لهم ممتنع لوجود كتاب سابق من الله ، ورجمهم له ممتنع لوجود رهطه . فوجود مضمون جملة الشرط أو تحققه قد سبَّبَ امتناع جوابه عن التحقق .

---

(١) البرهان : ٤ / ٣٦٣ .
(٢) الكتاب : ٤ / ٢٢٤ .
(٣) البرهان : ٤ / ٣٦٣ .
(٤) الجنى الداني : ٥٩٧ .
(٥) المصدر والصفحة أنفسهما .
(٦) أوضح المسالك : ٤ / ٢٣٧ .

ومن ذلك أيضًا قول الشاعر :

وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا[1]

٤- الشرط الاحتمالي :

يُقصَد به وجود علاقة سببية بين حدثين والحدث الأول منهما (وهو فعل الشرط) محتمل الوجود والعدم ، نحو قولنا : (إن يهطل المطر ينبت الزرع) ، فحدوث هطول المطر احتمالي ، ونبات الزرع حدث تابع له ومسبَّب عنه . فالاحتمالية هنا باعتبار وقوع مضمون جملة الشرط.

ومن هذا قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (الأنفال : ٣٨) فالحدثان هما الانتهاء والمغفرة ، والانتهاء محتمل الوقوع ، ولو وقع لتسببت عنه المغفرة .

ومنه أيضًا قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف : ٢٠٤) فالاستماع والإنصات مسبَّبان عن قراءة القرآن ، والقراءة (السبب) احتمالية الحدوث ، فإن وقع السبب (القراءة) وجب وقوع المسبَّب (الاستماع والإنصات) .

ونخلص من ذلك كله إلى أن السبب أو العلة في هذا التركيب - غالبًا - هو فعل الشرط ، أما جواب الشرط فهو - غالبًا - مسبَّب عن ذلك السبب حال حدوثه ، وبينهما ارتباط تلازمي ، ولا يمكن أن تكون الجملة شرطية ما لم تتكون من هذين التركيبين المتلازمين.

---

(١) الأزهية : ١٦٧ .

القسم الثاني: جمل التعليل الخبرية غير المصدَّرة بأداة

تقوم الجملة على الإسناد ، وطرفاه مسند ومسند إليه ، وقد وضح سيبويه المقصود بالمسند والمسند إليه بقوله : "وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدًّا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك : عبد الله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك : يذهب عبد الله ، فلابد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء"[١] .

ويوضح المبرد هذا الأمر بقوله : "وهما ما لا يستغني كل واحد عن صاحبه فمن ذلك : قام زيد ، والابتداء وخبره وما دخل عليه نحو (كان) (وإن) وأفعال الشك والعلم والمجازاة . فالابتداء نحو قولك : زيد ، فإذا ذكرته فإنما تذكره للسامع ليتوقع ما تخبره عنه فإذا قلت (منطلق) أو ما أشبهه صحَّ الكلام ، وكانت الفائدة للسامع في الخبر ؛ لأنه قد كان يعرف زيدًا كما تعرفه ، ولولا ذلك لم تقل له زيد ، ولكنت قائلًا له : رجل يُقال له زيد ، فلما كان يعرف زيدًا ويجهل ما تخبره عنه أفدته الخبر فصح الكلام ، لأن اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئًا ، وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى واستغنى الكلام"[٢] .

فالمسند في الجملة هو الفعل في الجملة الفعلية ، والخبر في الجملة الاسمية ، والمسند إليه هو الفاعل في الجملة الفعلية ، والمبتدأ في الجملة الاسمية ، والعلاقة بين الفعل وفاعله ، والمبتدإ وخبره علاقة تلازمية لإفادة المعنى[٣] .

وقال ابن السراج محددًا الجمل المفيدة : "والجمل المفيدة على ضربين : إما فعل وفاعل ، وإما مبتدأ وخبر"[٤] .

وقد قرر النحاة أن الكلام – بمعنى الجمل المفيدة – لا يتأتى إلا من اسمين ، أو من اسم وفعل ، فلا يتأتى من كلمة واحدة ، ولا فعلين ولا حرفين ، ولا اسم وحرف ، ولا فعل وحرف ؛

---

[١] الكاب : ١/ ٢٣ .

[٢] المقتضب : ٤/ ١٢٦.

[٣] اللغة العربية معناها ومبناها : ١٩١ – ١٩٢ - ٢١٧.

[٤] الأصول ١: ٦٤ .

لأن الإفادة إنما تحصل بالإسناد ، وهو لابد له من طرفين : مسند ومسند إليه[١] .

إن بناء الجملة في العربية ينعقد بهذين العنصرين الأساسين ، وهما الحد الأدنى لها ، وما سواهما في الجملة يسمى الفضلات ، وتمثلها وظائف نحوية مختلفة ، ولا يُفهم من هذه التسمية أنها زائدة عن المعنى أو أن حذفها وذكرها سواء ، ولكنها مصطلحات للتفريق بين العنصر الذي يتكون به الجملة وغيره[٢] .

فالفضلة يمكن أن تكون أساسية في معنى الجملة ولكنها من الناحية النحوية ليست عمدة، ففي قوله تعالى : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ) [الأنبياء :١٦] حذف الفضلة (لاعبين) يؤدي إلى اختلال المعنى رغم اكتمال عناصر الجملة الأساسية الفعل والفاعل ؛ لأن مدار الحدث اللغوي هو نفي الخلق في تلك الحالة ، وليس نفي الخلق عمومًا .

وقد صُنفت الجملة بناء على اكتفائها بالمسند والمسند إليه أو حاجتها إلى عناصر أخرى تؤثر في مضمونها إلى : جملة بسيطة ، وجملة مركَّبة[٣] .

أما البسيطة : فهي التي تعتمد على مركب إسنادي واحد ، أما المركبة : فهي جملة تتكون من جملتين أو أكثر أحيانًا بينهما ارتباط من نوع خاص قد يكون معنويًّا وقد يكون إسناديًّا[٤] .كما صُنفت الجملة بحسب أولها إلى جملة اسمية وجملة فعلية .

وقد صنَّف الدكتور محمد إبراهيم عبادة الجملة إلى جملة بسيطة ، وجملة ممتدة ، وجملة مزدوجة أو متعددة ، وجملة مركبة ، وجملة متداخلة ، ثم الجملة المتشابكة . وتناول سمات كل نوع ومكوناته والعلاقات التي تربط تلك المكونات[٥] .

وجمل التعليل الخبرية غير المصدَّرة بأداة تأتي في صورتين بحسب ارتباطها بالمعلَّل له .

أما الصورة الأولى فإن جملة التعليل فيها ترتبط بالمعلَّل له ارتباطًا غير تلازمي ؛ بحيث يمكن

---

(١) همع الهوامع ١: ٤٥ .

(٢) بناء الجملة العربية : محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة (٢٠٠٣م) : ٣٤ .

(٣) الجملة العربية : محمد إبراهيم عبادة : ١٣٤ ، ١٣٧.

(٤) المصدر نفسه : ١٣٧ .

(٥) المصدر نفسه : ١٣٤ - ١٤٤ .

فصلها عنه ، أو هي مفصولة عنه نحويًّا ، وهي التي تناولها النحاة على أنها استئنافية ، وربما كانت جملًا حالية أو وصفية أفادت التعليل ، وأما الثانية فإن ارتباطها به ارتباط تلازمي كارتباط الشرط بجوابه -كما تبيَّنَ- ، وهي جملة جواب الطلب .

أولًا : الجمل الخبرية الاسمية :

النمط (١) : جمل اسمية بسيطة :

تمثل هذه الصورة جمل التعليل الاسمية البسيطة ، وهي التي تعتمد الجملة فيها على عنصري المسند والمسند إليه وتكتفي بهما ، بغير إضافة عناصر تفيد الإسناد[١] ، ويُعلَّل بهذه الجمل للخبر كما يُعلَّل بها للإنشاء .

ويرتبط المسند بالمسند إليه بعلاقة الإسناد فيتكون من هذه العناصر المسند والمسند إليه والرابطة المعنوية بينهما (الإسناد) جملة يُعلَّل بها إما لطلب أو لخبر .

فمن التعليل لطلب قوله تعالى : (وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [البقرة: ٢٨٦]، قال أبو حيان في تفسيره : "أدخل الفاء إيذانًا بالسببية ؛ لأن كونه تعالى مولاهم ومالك تدبيرهم وأمرهم ينشأ عن ذلك النصرة لهم على أعدائهم"[٢]، وقيل إن قوله تعالى : (أَنْتَ مَوْلَانَا) "فصل لأنه كالعلة للدعوات الماضية أي دعوناك ورجونا منك ذلك لأنك مولانا"[٣]، فيبدو من ذلك أن قوله تعالى : (أَنْتَ مَوْلَانَا) تعليل لما قبله من الطلب بدون رابط ، وتعليل أيضًا لما بعده (فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) ولكن برابط وهو الفاء .

ومن التعليل للطلب أيضًا قوله تعالى : (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ) [الحج : ٧٨] ، وقوله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) [الأنعام : ١٥١].

---

[١] الجملة العربية : ١٣٤.

[٢] البحر المحيط : ٢ / ٣٨٥ .

[٣] تفسير ابن عاشور ٣ / ١٤١ .

أمَّا التعليل للإخبار فنجده في قوله تعالى :(....قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ) [الأنعام : ٧٨] "جملة (هذا أكبر) جارية مجرى العلة لجملة (هذا ربي)"[١] ، وقوله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ) [المائدة : ٣] .

وهذه الجمل ترتبط بما قبلها ارتباطًا دلاليًّا يُفهم من السياق ، كما تربطها بالجمل المعلَّل لها هذه الضمائر البارزة منها والمتصلة .

حذف المسند إليه :

أما في قوله تعالى (قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا(٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦)) [الجن] .

فقد حُذِف المسند إليه في جملة التعليل (عالم الغيب) والمسند معرفة بالإضافة ، معتمدًا في الدلالة عليه[٢] على قوله (ربي) في الجملة السابقة - وهي المعلَّل لها - ولذا فُصِلَت الجملة عمَّا قبلها ، وقيل : إن (عالم الغيب) بدل من (ربي) ، ومع صلاحية (عالم الغيب) للبدلية فإنها صالحة للتعليل ؛ بوصفها جملةً المبتدأ فيها محذوف لوجود القرينة ، وقد أشار النحاة إلى جواز الحذف إذا كان في السياق ما يدل على المحذوف ، يقول ابن يعيش : "اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما ، فالمبتدأ معتمد الفائدة والخبر محل الفائدة ، فلابد منهما، إلا أنه قد توجد قرينة لفظية أو حالية تغني عن النطق بأحدهما فيُحذَف لدلالتها عليه ، لأن الألفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى ، فإذا فُهِم المعنى بدون اللفظ جاز ألَّا تأتي به ، ويكون مرادًا حكمًا وتقديرًا"[٣]، ويمكن أن نفهم التعليل في هذه الجملة بإجراء عملية إضافة الفاء أو لأنَّ إلى عالم الغيب ؛ فهو عالم الغيب : أي لأنه عالم الغيب ، أمَّا جملة (فلا يظهر على غيبه أحدًا) "فالفاء لتفريع حكم على حكم والحكم المُفرَّع إتمام للتعليل وتفصيل لأحوال عدم الاطلاع على غيبه" [٤] .

---

[١] تفسير ابن عاشور : ٧ / ٣٢٢ .

[٢] يُنظر في حذف المبتدأ في هذه المواضع : الأصول في النحو : ١ / ٦٨ مثلًا .

[٣] شرح المفصل : ١ / ٩٤ .

[٤] التحرير : ٢٩ / ٢٤٧ .

الجمل المسبوقة بـ(كان) :

ويلحق بالجمل الاسمية تلك الجمل المسبوقة بـ(كان) ومنها قوله تعالى : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) [الإنسان : ٧] ، وكذلك قوله تعالى :(وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ) [الأنبياء : ١١] . ففيهما جملتان اسميتان دخلت على كل واحدة منهما (كان) ، ومع أنهما وقعتا نعتًا لما قبلهما إلا أن هذا النعت علة للحدث المُخبَر عنه في الجملة السابقة . ففي قوله تعالى : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) [الإنسان : ٧] قال ابن عاشور : "ووصف اليوم بأن له شرًا مستطيرًا وصفًا مشعرًا لعلة خوفهم إياه" [١]، وكذلك في قوله تعالى :(وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ) [الأنبياء : ١١] يقول : "وبضميمة وصف تلك الأمم بالظلم أي الشرك إيماء إلى سبب الهلاك"[٢] .

و(كان) من الأفعال الناقصة التي تدخل على الجملة الاسمية فتدل على اقتران الجملة بزمن مضى دون تحديد الجهة ، والأفعال الناقصة عناصر إضافية لا علاقة بها بالإسناد إلا من حيث إنها تفيد اقتران الجملة بزمن دون جهة أو زمن وجهة[٣]، وهي عناصر تؤثر في الحالة الإعرابية للمسند فتجعله منصوبًا بعد أن كان مرفوعًا كما في الآيتين محل الاستشهاد .

مسند إليه + مسند (جار ومجرور) :

هذه الصورة تمثل جمل التعليل الاسمية التي يشغل الجار والمجرور فيها موقع المسند ، والنحاة مختلفون في الخبر حين يقع جارًّا ومجرورًا أو ظرفًا ؛ فمنهم من يرى أن الجار والمجرور أو الظرف هو الخبر نفسه ، ومنهم من يرى أن الجار والمجرور أو الظرف متعلق بخبر محذوف ، كما اختلفوا في تقدير المحذوف هل هو فعل أو وصف[٤] .

ومن هذه الصورة قوله تعالى : (قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) [هود : ٧٣] .

---

[١] التحرير : ٢٩ / ٣٨٣ .

[٢] المصدر نفسه : ١٧ / ٢٤ .

[٣] اللغة العربية معناها ومبناها : ١٩٣.

[٤] الأصول : ١ / ٦٣، شرح المفصل ١ / ٩٠ .

"(رحمة الله وبركاته عليكم) : كلام مستأنف عُلِّل به إنكار تعجبها"[1] . لقد عدَّ المفسرون هذه الجملة جملة مستأنفة ، إلا أنهم صرحوا بأن المراد بها تعليل إنكار تعجب امرأة إبراهيم - عليه السلام - من بشارة الملائكة لها بالولد ، هذا التعليل هو الرابط المعنوي بين هذه الجملة وما قبلها من الاستفهام الإنكاري . وقد جاء المسند جارًّا ومجرورًا (عليكم) .

في حين يأتي التعليل لاستباق الخيرات في قوله تعالى : (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [المائدة : ٤٨] بجملة اسمية قُدِّمَ فيها الخبر (المسند) وهو جار ومجرور على المبتدإ (المسند إليه) وهو معرفة (إلى الله مرجعكم) مع إضافة عنصر يقع حالًا (جميعًا) . يقول الزمخشري في هذه الجملة : "استئناف في معني التعليل لاستباق الخيرات"[2] .

هذا في التعليل للطلب ، أما في التعليل للخبر فإنا نجد أن أغلب الجمل المعلَّل بها التي يشغل الجار والمجرور فيها وظيفة المسند يتقدم الجار والمجرور على المسند إليه (المبتدإ) ما عدا ما جاء في قوله تعالى : (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ) [الأعراف : ١٧٩] .

حيث تكون جملة (أولئك كالأنعام) تعليلًا لقوله : (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا) وربط المبتدأ (أولئك) الجملتين مشيرًا بهذا التعليل إلى الغفلة التي يتصفون بها ، وهذه الجملة لبساطتها اختصرت كل المعاني في الجملة التي قبلها (المعلَّل لها) .

وتقدم الجار والمجرور (المسند) لا يؤثر كثيرًا في معنى الجملة ؛ لأنه عنصر غير محفوظ الرتبة ، وقد جعل النحاة من مسوغات الابتداء بالنكرة أن يكون الخبر جارًّا ومجرورًا مقدَّمًا عليها[3] ، وهذا نجده في قوله تعالى : (... لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ) [النساء : ٣٢] ، وقوله تعالى : (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

---

[1] الكشاف : ٢ / ٢٨١ ، والتحرير : ١٢ / ١٢٢.

[2] الكشاف : ٢ / ٢٤٧ .

[3] اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠٧ - ٢٠٩ .

[التوبة:٩١] ، وقوله تعالى : (... قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ) [إبراهيم : ٢١] ، وقوله تعالى : (اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) [الزمر : ١٠] ، وقوله تعالى : (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ(٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ(٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ(٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ(٣٧)) [عبس] .

وقد ظهر من دراسة جمل التعليل الاسمية البسيطة أن هذه الجمل تميل للقصر . ويشيع استخدام (اللام) الجارَّة في الجار والمجرور الواقع خبرًا ، ولم أجد الظرف قد وقع خبرًا في أحد جمل التعليل الاسمية .

ومما يُلاحظ أن جمل التعليل في هذه الصور ارتبطت بالجمل المعلَّل لها بالضمير كما ترتبط معظم الجمل التي يعدُّها النحاة مما له محل من الإعراب ، في حين عدُّوا جمل التعليل مما ليس له محل من الإعراب وسمُّوها جملًا استئنافية ، وسار المفسرون على نهجهم وكأنهم يعدُّون التعليل من الأغراض البلاغية عندما سمَّوا هذا النوع من الاستئناف الاستئناف البياني .

مسند إليه + مسند (جملة فعلية) :

في هذه الصورة نجد الجمل الاسمية المعلَّل بها من النوع الذي عدَّه ابن هشام جملة كبرى[١]، ويريد به الجملة الاسمية التي يكون فيها الخبر جملة اسمية أو فعلية .

واهتم النحاة المحدثون بهذا النوع من الجمل في إطار اهتمامهم بدراسة الجمل ، وتناول د .محمد عبادة هذا النوع من الجمل وسماه (الجمل المتداخلة) [٢] .

وقد جاء هذا النوع من الجمل معلَّلًا به لجمل طلبية وأخرى خبرية ، وتميزت بأنها جميعها من النوع الذي يكون فيه الخبر جملة فعلية . ولم يرد جمل تعليل اسمية خبرها جملة اسمية ، كما أن المبتدأ فيها (المسند إليه) ورد فيها جميعًا في صيغة الضمير ما عدا واحدة ، فإن المبتدأ فيها جاء مركَّبًا موصوليًّا[٣] . وهذه الجمل عند المفسرين هي جمل مستأنفة أُريدَ بها التعليل كما في قوله

---

[١] المغني : ٤٣٧ .

[٢] الجملة العربية : ١٤٢.

[٣] الجملة العربية : ١٠٠.

تعالى : (وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ...) [الحج : ٧٨] .

يقول الألوسي في جملة (هو اجتباكم) : "والجملة مستأنفة لبيان علة الأمر بالجهاد[١]" وقد ارتبطت هذه الجملة بالجملة المعلَّل لها بضميرين أحدهما يحيل إلى لفظ الجلالة - سبحان الله وتعالى - وهو الواقع مسندًا إليه ، والآخر يحيل إلى المخاطَبين وهو الواقع مفعولًا به في جملة الخبر.

وفي قوله تعالى : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) [الأنعام : ١٥١] .

قال فيها ابن عاشور : "جملة (نحن نرزقكم وإياهم) معترضة مستأنفة، علة للنهي عن قتلهم، إبطالًا لمعذرتهم ؛ لأن الفقر جعلوه عذرًا لقتل الأولاد"[٢] . فقد جمع المعترضة والمستأنفة ليصف بها جملة (نحن نرزقكم وإياهم) ثم ذكر أنه علة للنهي ثم أشار بعد ذلك إلى دلالة هذا التعليل في السياق فقال "إبطالًا لمعذرتهم" . والاستئناف والاعتراض من مواقع الجمل التي يعدُّها النحويون مما ليس له محل من الإعراب إذ لا يمكن تأويلها بمفرد ، وهي في الآيات السابقة قد وقعت تعليلًا .

وقد ارتبطت جملة التعليل (نحن نرزقكم وإياهم) بالجملة المعلَّل لها بالضمير المتصل في (نرزقكم) والضمير المنفصل في (وإياهم) وهما ضميران يحيلان إلى عنصرين إشاريين -هما الوالدان والأولاد- في الجملة الطلبية السابقة (المعلَّل لها) .

ويأتي تعليل الاستفهام على النمط نفسه في قوله تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [الزخرف : ٣٢] "تعليلًا للإنكار والنفي المستفاد منه"[٣]، وهذه الجملة هي أطول جمل هذا النمط بناءً ، وذلك بالعناصر المكملة للإسناد في جملة المسند (قسمنا) والفعل فيها فعل متعد يطلب مفعولًا به ليتضح المقصود به ، وبهذا كان إطالة بناء جملة التعليل ناشئة عن إطالة بناء جملة الخبر المسند .

---

[١] روح المعاني : ١٧ / ٢٠٩ .

[٢] التحرير : ٨ / ١٥٩ .

[٣] التحرير : ٢٥ / ٢٠١ .

ومن أمثلة هذا النمط قوله تعالى : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) [طه : ١٣٢]

وقوله تعالى (قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ) [ص : ٦٠] .

وتعتمد هذه الجمل على توجيه الضمير ليكون في صدر الجملة ومن ثَمَّ يُبنَى عليه الكلام ، ويتحقق بهذه الجملة أغراض نحوية وأغراض دلالية ، أما النحوية فتتمثل في إحكام الربط باستعمال الضمير البارز رابطًا بين جملة التعليل والجملة المعلَّل لها ، وتربط الضمير (المسند إليه) بالجملة (المسند) ، وأما الغرض الدلالي فهو في الآيات الأولى (هو اجتباكم) ، (نحن نرزقكم)، (نحن قسمنا) ، (أنتم قدمتموه) فهو قصر وتخصيص هذه الأفعال بذلك الفاعل فلا يختص بها غيره.

ويمكن اختبار وقوع هذه الجمل تعليلًا لما قبلها بوضع فاء السببية قبلها أو (لأن)فينسجم المعنى .

وهذه الجمل تميل في مجملها إلى القصر (هو اجتباكم) (نحن نرزقكم) ، وأقصى ما وصلت إلي في الطول ما جاء في (الزخرف : ٣٢) :(نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) حيث تعلق بالفعل الظرف والمفعول به والجار والمجرور مع نعته .

النمط(٢) : جمل اسمية ممتدة :

"هي الجملة المكونة من مركب إسنادي واحد وما يتعلق بعنصريه أو بأحدهما من مفردات أو مركبات غير إسنادية ؛ مثل : الشمس طالعة بين السحاب ، حضر محمد صباحًا ، أقائم أخوك رغبة في الانصراف ؟"[1] .

نجد أن في هذه الجمل الاسمية امتدادًا وتطويلًا في جملة التعليل والغالب أن يكون بالجار والمجرور ، ويتفاوت هذا الجار والمجرور في الطول والقصر بحسب المجرور ؛ فقد يكون ضميرًا كما في قوله تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ...) [البقرة : ٢٢٣]

وقوله تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ...) [البقرة : ١٨٧] .

---

[1] الجملة العربية : ١٣٤ .

وقد يكون اسمًا كما في قوله تعالى : (... وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ...) [المائدة : ٨] .

كما قد يكون المجرور مصدرًا مؤولًا من (أنْ والفعل) كما في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) [الأحزاب : ٥٩] ، أو (ما وصلتها) كما في قوله تعالى : (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) [هود : ٣١] ، وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) [الطور : ٢١] .

هذا وقد جاء التطويل بالنعت في قوله تعالى : (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) [النور : ١٦] .

ويُلاحظ على المسند إليه في هذه الجمل ما لوحظ على الصورة الأولى وهي الجمل الاسمية البسيطة ؛ إذ يغلب في المسند إليه أن يكون ضميرًا للشخص أو للإشارة (هُنَّ ، هو ، ذلك ، هذا ، ...) والمسند في الشواهد جميعهما في هذه الصورة نكرة .

في الآية (البقرة : ١٢٣) : (نساؤكم حرث لكم) نجد أن جملة التعليل المقدَّمة على المعلَّل لها (فأتوا حرثكم أنى شئتم)[1] ارتبطت بها بالفاء تأكيدًا للعلاقة السببية ، فعندما تقدمت العلة على المعلَّل له كان لابد من رابط يفيد التعليل يعيد ربط الجملتين ، وجملة التعليل (نساؤكم حرث لكم) جملة اسمية غير مصدَّرة بأداة طُوِّل عنصر المسند فيه بالجار والمجرور (لكم) ، وهذا الجار والمجرور عنصر إضافي على الإسناد لكنه عنصر مهم في فهم العلاقة بينكم وبين هذا الحرث ، فهذا الحرث منسوب إليكم ، ولذلك فهو مباح لكم .

وكذلك كان التطويل بالجار والمجرور في آية (المائدة : ٨) :(اعدلوا هو أقرب للتقوى) عنصرًا ملازمًا للمسند وفي حذفه عدم وضوح دلالة القرب الذي هو محل التعليل للأمر بالعدل، قال

---

[1] تفسير ابن عاشور : ٢ / ٣٧١ .

الزمخشري : "استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله ، (هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب للتقوى"[١] .

أما آية (الأحزاب : ٥٩) : (ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ) فإن (فلا يؤذين) عنصر إضافي طُوِّل به جملة التعليل (ذلك أدني أن يعرفن) ، وهو عنصر إضافي إجباري لأن في حذفه قصورًا من الخبر في أداء المعنى المراد .

وفي الآية (هود : ٣١) يقول ابن عاشور : "وجملة (الله أعلم بما في أنفسهم) تعليل لنفي أن يقول (لن يؤتيهم الله خيرًا) . ولذلك فُصِلت الجملة ولم تُعطَف"[٢]. وكذلك طُوِّلت جملة التعليل بمركب موصولي مجرور في الآية (هود : ٣١) ، والآية (الطور : ٢١) ، والفرق بين التركيبين أن المركب الموصولي في قوله : (الله أعلم بما في أنفسهم) مؤخَّر عن المسند ، وصلة الموصول (جار ومجرور) في حين أن المركب الموصولي في قوله (وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين) فصل بين المسند والمسند إليه وصلة الموصول جملة فعلية ، والجار والمجرور في التركيبين عناصر إجبارية ؛ لأن معنى الخبر لا يتضح إلا بهما .

وإذا كانت جمل التعليل هذه فُصِلَت عما قبلها ، فإنها قد ارتبطت بها بالضمائر[٣] كما في (الله أعلم بما في أنفسهم) أو بلفظ العموم[٤] كما في (كل امرئ بما كسب رهين) .

ويُلاحظ في هذه الصورة أن المسند إليه فيها جاء معرفة ما عدا في شاهد واحد هو (كل امرئ بما كسب رهين) غير أن المسند إليه لفظ دال على العموم ، وهو أيضًا مضاف مما جعله في حكم المعرفة .

---

[١] الكشاف : ٢ / ٢١٣ .

[٢] تفسير ابن عاشور : ١٢ / ٥٩ .

[٣] اللغة العربية معناها ومبناها : ٢١٣.

[٤] المصدر والصفحة أنفسهما .

ثانيًا : الجمل الخبرية الفعلية :

في هذا النوع من جمل التعليل الخبرية غير المصدَّرة بأداة يأتي التعليل في صيغة جملة فعلية ، وفي الجملة الفعلية يلزم تقدم المسند على المسند إليه ؛ أي تقدم الفعل على الفاعل ، والفعل في الجملة الفعلية يتحكم في مجموعة من العناصر تُسمَّى مقيدات أو مكملات الفعل ؛ وهي المفعولات والحال والتمييز والمستثنى ، والعلاقة بين الفعل والمقيدات هي علاقة تقييد إجباري للعناصر التي تلزم موقعًا بعينه ، وعلاقة تقييد اختياري للعناصر التي لا يجب أن تلزم موقعًا بعينه ، ويربط الفعل بالفاعل قرينة كبرى هي قرينة الإسناد الفعلي التي تجعل الفاعل هو الذي يقوم بالفعل أو يتصف به[1]، وقد تكتفي الجملة بالمسند والمسند إليه في الدلالة على المعنى فتكون جملة بسيطة وقد تحتاج إلى المقيدات لإبراز معنى خاص ، فتكون الجملة ممتدة .

وجمل التعليل في هذا النوع استُعملت في القرآن الكريم على هيئة جمل فعلية مقطوعة عما قبلها نحويًّا مع ارتباطها به دلاليًّا ، لذا فقد عُدَّت عند النحاة والمفسرين استئنافية شأنها في ذلك شأن الجمل الاسمية ، وهي لا تتخذ صورة ثابتة في القرآن الكريم فقد تأتي بسيطة وقد تأتي ممتدة.

وهذا النوع من الجمل قد يأتي تعليلًا لطلب ، وقد يأتي تعليلًا لخبر قبله ، أما ما سُبِقَ منها بطلب فهو من المواضع التي أوجب فيها بعض النحاة والبلاغيون الفصل ؛ لامتناع عطف الخبر على الإنشاء والعكس ، لكمال الانقطاع[2] . وتأوَّل البلاغيون هذه المواضع على تضمين الخبر معنى الطلب والمقام يشير إلى ذلك .

وبسبب هذا الاختلاف قُطعت جملة التعليل عما قبلها نحويًّا - وإن اتصلت بها دلاليًّا - وعُدَّت مستأنفة ، لبيان أو لتوكيد أو لبدل أو غيره مما يوجب الفصل، كما يُقطع الجواب عن السؤال .

---

(1) بناء الجملة العربية : ٦١ .

(2) التلخيص في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، ضبطه وشرحه : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، ط١ (١٩٠٤م) : ١٧٩ ، مغني اللبيب : ٢ / ٥٥٥ .

وتظهر صور هذا النمط فيما يلي :

النمط (١) : فعل + فاعل :

في قوله تعالى : (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٧٤)) [ص] قد "نصَّ على أن الامتناع كان سببه الاستكبار"[١]، جملة (استكبر) "استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء ، فإن تركه يحتمل أن يكون للتأمل والتروي ، وبه يتحقق أنه للإباء والاستكبار (وكان من الكافرين) أي وصار منهم باستكبار..."[٢]، فهذا الاستئناف البياني بيَّن علة ترك السجود وليس كيفيته ، فجملة استكبر جملة فعلية تتكون من مسند ومسند إليه ، والمسند إليه ضمير مستتر يشير إلى مُتقدِّم هو (إبليس) وهو فعل لازم ماض ، تركز التعليل في هذا الحدث ، فهذا الاستكبار هو المسبِّب للأحداث التي تلته أو صدرت من إبليس .

ومن أمثلة هذه الصورة أيضًا ما جاء في قوله تعالى : (قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) [الفرقان : ٧٧] ، وقوله تعالى :(وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا) [القصص : ٩] ، وقوله تعالى: (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [القصص : ٢٥] فالأفعال (كذَّبتم) ، (عسى) ، (نجوت) أفعال لازمة ، وجاءت جملة التعليل جملة بسيطة مكتفية بالفعل والفاعل للدلالة على المعنى .

النمط (٢) : فعل + فاعل + جار ومجرور :

قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٧)) [البقرة] .

في هذه الآية طُوِّلت الجملة الفعلية التعليلية (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ) بالجار والمجرور الذي عُطف عليه جار ومجرور مثله ، وهي جملة خبرية فعلية فُصلت عما قبلها . إن الفصل بين هاتين الجملتين الخبريتين - جملة التعليل والجملة المعلَّل لها - هو فصل نحوي ، أما

---

[١] البحر : ٧ / ٣٩٢ .

[٢] روح المعاني : ٢٣ / ٢٢٥ .

العلاقة الدلالية بينهما فقائمة .

والفاعل في هذه الجملة اسم ظاهر ، هو فاعل العلة وهي الختم ، والجار والمجرور من العناصر الحرة التي ترتبط بالفعل بعلاقة نسبة[1]، وجاء هنا تطويلًا للجملة الأساسية ومقيّدًا لها.

وتختلف الأفعال في هذا النص ؛ فجملة التعليل جملة فعلية خبرية ، أما المعلَّل لها ففعلها طلبي، وهو موطن من مواطن الفصل بين التراكيب ، ولهذا فإن منشأ الفصل هو اختلاف الأفعال طلبًا وخبرًا .

تقدم الجار والمجرور :

الجار والمجرور عنصر غير محفوظ الرتبة في الجملة[2] ؛ فقد يأتي بعد الجملة أو بين المسند والمسند إليه ، وقد يأتي قبل الجملة بحسب مقتضيات المقام ، وقد جاء في أحد الجمل التعليلية الفعلية مُقدَّمًا على الإسناد في قوله تعالى : (... فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [العنكبوت : 17] .

ف (إليه ترجعون) "تعليل للأمر بعبادته وشكره ؛ أي لأنه الذي يجازي على ذلك ثوابًا وعلى ضده عقابًا ، إذ إلى الله لا غيره مرجعكم بعد الموت . وفي هذا إدماج تعليل العبادة بإثبات البعث"[3]، وفيه تقدم الجار والمجرور على الجملة الفعلية (ترجعون) وبقي متعلقًا بالفعل ترجعون .

عطف الجملة الفعلية على مصدر صريح :

وقد يأتي التعليل بجملة فعلية معطوفة على مصدر صريح كما في قوله تعالى : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) [الأنفال : ٤٧] .

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠١ . فقد بيَّن أن النسبة هي قيد على الإسناد ؛ بحيث يجعل هذا القيد علاقة الإسناد نسبية ، وأن معنى النسبة هو الإلحاق ، وأن المعاني التي تدخل تحت النسبة هي معاني حروف الجر ومعها معنى الإضافة .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠٧.

(٣) التحرير والتنوير : ٢٠ / ٢٢٦ .

فالفعل وما يتعلق به عُطِف على المصدر (رئاء) وهو مفعول له ، فكان موقع (ويصدون عن سبيل الله) موقع المفعول له ، فهنالك ثلاث علل خرجوا من ديارهم بسببها : البطر ، والرياء ، والصد عن سبيل الله ، وقيل : " (بطرًا ورئاء) منصوبان على المفعول له ، ويجوز أن يكونا مصدرين في موضع نصب على الحال من فاعل (خرجوا) أي : خرجوا بطرين ومرائين . و(رئاء) مصدر مضاف لمفعوله ، وقوله (ويصدون) يجوز أن يكون مستأنفًا ، وأن يكون عطفًا على (بطرًا ورئاء) لأنه مؤوَّل بالحال ، أي : بطرين ومرائين وصادين"[1]، إذ إن هذه المصادر والفعل هي علل باعثة لهم على الخروج ، سواء أُعربت حالًا أم أُعربت مفعولًا له ، والذي يبدو أن "بطرًا ورئاء" أميل للمفعولية منها للحالية ، لانطباق شروط المفعولية عليها بدون تأويل ، في حين أن مجيئها مصدرًا يخالف شروط الحالية إلا بتأويل ، أما عدُّ (يصدون) جملة استئنافية فهو للتخلص من عطف الفعل على الاسم ، ومن ثَمَّ عُدَّت (الواو) استئنافية لا عاطفة .

وقوع المجرور مصدرًا مؤوَّلًا :

وقد يأتي المجرور مصدرًا مؤولًا نحو قوله تعالى :

(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [التوبة : ٩٣] .

فـ (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) وما عُطف عليها علة استئذانهم ، قال الزمخشري "يعنى أن السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى إياهم"[2]، وقال أبو حيَّان "(ورضوا) استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا في القعود بالمدينة وهم قادرون على الجهاد ؟ فقيل : رضوا بالدناءة وانتظامهم في سلك الخوالف ، وعطف (وطبع) تنبيهًا على أن السبب في تخلفهم رضاهم بالدناءة ، وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون"[3]. تتركب جملة التعليل في هذه الآية من فعل ماضٍ أُسند إلى فاعل يشير إلى مُتقدِّم لا يلزم تكراره لتقدم مفسره (الذين

---

[1] الدر المصون : ٥ / ٦١٦ .

[2] الكشاف : ٣ / ٨٢ .

[3] البحر المحيط : ٥ / ٩٣ .

يستأذنونك وهم أغنياء) ثم يأتي الجار والمجرور لتطويل الجملة ، والمجرور تركب من (أنْ) المصدرية مع فعل مضارع ناقص وما اتصل به من جملة اسمية (يكونوا مع الخوالف) وبذلك يصبح مصدرًا مؤولًا في محل المجرور (رضوا بكونهم مع الخوالف) ، وأدَّى عطف الجملة الفعلية (طبع الله على قلوبهم) إلى تطويل الجملة بذكر علة أخرى للاستئذان .

النمط (٣) : فعل + فاعل + مفعول به :

في قوله تعالى : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء : ١٤٢] .

طُوِّلت جملة التعليل (يراءون الناس) في هذه الآية بالمفعول به (الناس) ، وجاءت مبينة للعلة الحقيقية لصلاة المنافقين ، وعبر عن الفاعل بالضمير المتصل محيلًا إلى عنصر إشاري سابق (المنافقين) .

وجملة (يراءون الناس) أُعرِبت عند بعض المفسرين حالًا أو بدلًا من كسالى ، كما جوَّزوا كونها مُستأنَفة[١] . وقيل الجملة مستأنفة استئنافًا بيانيًا لبيان سؤال من يسأل : ما قصدهم بقيامهم إليها كسالى ؟ فقيل : يراءون[٢] .

ومن هذه الصورة قوله تعالى : (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ..) [النساء : ٩٥] .

فإن جملة (فضل الله المجاهدين ...) تعليل لنفي الاستواء وهي "جملة موضحة لما نُفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل : ما لهم لا يستوون ، فأجيب بذلك ..." [٣]، وهذه الجملة تكوَّنت من فعل ماضٍ والفاعل اسم ظاهر والمفعول به اسم ظاهر – أيضًا – في صيغة اسم الفاعل تعلق به الجار والمجرور (بأموالهم وأنفسهم) وزاد من تطويل الجملة بـ(على القاعدين)

---

(١) التبيان : ١ / ٤٠٠ .

(٢) تفسير ابن عاشور: ٥ / ٢٤٠ .

(٣) الكشاف : ٢ / ١٣٥ .

الجار والمجرور . والمفعول به (المجاهدين) يعد من مكملات الإسناد ، وهو هنا عنصر إجباري، أما بقية العناصر المتعلقة بالمفعول به (اسم الفاعل) أو المتعلقة بالفعل فهي عناصر اختيارية .

وقوع المفعول به مركبًا موصوليًّا[1] :

إن جمل التعليل الفعلية شأنها شأن غيرها من الجمل الفعلية الخبرية ، قد يأتي المفعول به فيها مركبًا موصوليًّا نحو قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ...) [آل عمران : ١١٨] .

(ودوا ما عنتم) المفعول به مركب موصولي حرفي (ما عنتم) أي : عنتكم وهي جملة صالحة للوصفية لـ(بطانة) ، وللحالية (من الضمير في يألونكم) ، وللاستئناف على وجه التعليل للنهي مع الجملة التي قبلها والجملة التي بعدها[2] .

ومثلها (يعلم ما في السماوات والأرض) في قوله تعالى : (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) [العنكبوت : ٥٢] .

فإن في جملة التعليل (يعلم ما في السماوات...) المفعول به جاء مركبًا موصوليًّا .

النمط (٤) : فعل + فاعل + مفعول به + عنصر إضافي :

أ- فعل + فاعل + مفعول به + حال :

تمتد (تُطوَّل) جملة التعليل بعناصر أخرى بالإضافة إلى المفعول به ، كما في قوله تعالى : (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) [لقمان : ١٤] .

"ولما خص الأم بالمشقَّات من الحمل والنفاس والرضاع والتربية ، نبَّه على السبب الموجب

---

[1] الجملة العربية : ١٠٠.

[2] البحر المحيط : ٣ / ٤٢ ، الدر المصون : ٣ / ٣٦٦ .

للإيصاء ..." [1]، وهي "في موضع التعليل للوصاية بالوالدين قصدًا لتأكيد تلك الوصاية ؛ لأن تعليل الحكم يفيده تأكيدًا"[2] .

وتتكون جملة التعليل من الفعل والفاعل الظاهر ومفعولًا به (ضميرًا متصلًا) يحيل إلى الإنسان، وتأتى الحال المؤولة لتسهم في تطويل الجملة ، فـ(وهنًا) "المصدر حال أي ذات وهن أي موهونة ، وقيل : ذات وهن"[3]، وفي هذا المصدر يكمن الغرض من التعليل بالحمل ، إذ هو حمل على ضعف أو حمل ذو وهن وضعف ، مما يجعلها تستحق الوصية بشكرها ، والأصل في الحال أن تكون جائزة الحذف لأنها فضلة ، إلا إنها هنا لها أهمية دلالية للجملة المعلَّل لها فهي بذلك تكون عنصرًا إجباريًا .

ب- فعل + فاعل + مفعول به + تمييز :

في قوله تعالى : (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ) [الأنعام : ٨٠] طُوِّلت جملة التعليل "وسع ربي كل شيء علمًا" بالمفعول به والتمييز ، وهي تعليل للاستثناء ومعناها "إنما لم آمن إرادة الله بي ضُرًّا وإن كنت عبده وناصر دينه لأنه أعلم بحكمة إلحاق الضر أو النفع بمن يشاء من عباده"[4]، فهي جملة استئنافية لبيان علة الاستثناء ، وللتمييز أهمية في معني الجملة تجعله عنصرًا إجباريًّا - وإن كان يُعَدُّ فضلة - لأن أصل الكلام (وسع على ربي كل شيء) تجعل المعنى يتركز في هذا العلم والتسليم له بكل شيء . وجاء المسند فعلًا ماضيًا والمسند إليه اسمًا ظاهرًا ، وقد تكرر لفظ المسند إليه (ربي) في جملة التعليل وجملة الاستثناء ليكون رابطًا بينهما ويتحقق الترابط بين الجملتين .

ج- فعل + فاعل + مفعول به + جار ومجرور :

قد يأتي الجار والمجرور عنصرًا إجباريًّا في جملة التعليل الفعلية ؛ نحو قوله تعالى : (قَالَ مَا

---

[1] البحر المحيط : ٧ / ١٨٢ .

[2] التحرير : ٢١ / ١٥٨ .

[3] التبيان : ٣ / ١٠٤٤ .

[4] التحرير : ٧ / ٣٢٩ .

مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) [الأعراف : ١٢] . "استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه ، وهو أن أصله من نار وأصل آدم من طين"[١]، وذلك في جملة (خلقتني من نار وخلقته من طين) فهاتان الجملتان الفعليتان متعاطفتان لتوضيح دعوى الخيرية ، والجار والمجرور عناصر إجبارية في كل منها ، فالمعلَّل له جاء في صيغة الجملة الاسمية ، أما التعليل فقد جاء في صيغة الجملة الفعلية . كما نجد ذلك أيضًا في قوله تعالى : (... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ...) [البقرة : ١٨٥] فإن قوله "يريد الله بكم اليسر" تعليل للرخصة التي جاءت في التركيب الشرطي (ومن كان مريضًا ... فعدة من أيام أخر) ، ويؤدي الجار والمجرور (بكم) وظيفة الرابط بين الجملتين بما يضم من عنصر إحالي هو الضمير المتصل . أما الجملة المعطوفة على جملة التعليل فهي جملة جاءت منفية وبينها وبين جملة التعليل تضاد بالسلب لغرض التأكيد على أن ما يريده الله سبحانه هو اليسر والتيسير على العبيد .

كما نجد في قوله تعالى : (إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨)) [الإنسان] الأفعال (يوفون ، يخافون ، يطعمون) تدل على سبب استحقاق الأبرار لذلك النعيم المذكور، فهو "استئناف مسوق لبيان ما لأجله يُرزَقون هذا النعيم"[٢]، فقد تركز التعليل في هذه الأفعال ، وربطت الضمائر التي شغلت وظيفة الفاعل بين جمل التعليل المتعاطفة والجملة المعلَّل لها .

الجملة التعليلية فعلها مبني للمجهول :

قد تأتي الجملة الفعلية الخبرية المعلَّل بها ذات فعل مبني للمجهول كما في قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)

---

[١] الكشاف : ٢ / ٤٢٦ .

[٢] روح المعاني : ٢٩ / ١٥٥ .

[الأعراف : ١٨٠] "فجملة سيجزون تنزل منزلة التعليل للأمر بترك الملحدين"[١].

وفيها جاء الفعل مستقبلًا مبنيًّا للمجهول أُسنِد إلى المفعول به ليكون نائب فاعل جاء في صيغة ضمير متصل ، يمثل رابطة بين جملة التعليل وما قبلها ، وكما جاء التعليل بجملة فعلها مضارع مبني للمجهول جاء التعليل بجملة فعلها ماضٍ مبني للمجهول في قوله تعالى : (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [التوبة : ٣٧] .

فـ(زُيِّن لهم سوء أعمالهم) مستأنفة استئنافًا بيانيًا فيه معنى التعليل لحالهم العجيبة كي يزول تعجب السامع منها[٢] . فبهذه الجملة بيَّن سبحانه العلة الباعثة للذين كفروا ليتجرءوا على ما حرم الله من الأشهر الحرم ، وفي مجيء الفعل بهذه الصيغة تركيز على الفعل وجعله محور التعليل ، فالسبب هو التزيين سواء أكان الذي زين لهم الشيطان أم أهواؤهم أم غير ذلك .

تعدد الأوجه الإعرابية للجمل التعليلية :

إن أمثلة تعدد الأوجه الإعرابية للجمل الواقعة تعليلًا لما قبلها كثيرة في القرآن الكريم نجد منها مثلًا قوله تعالى : (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا) [التوبة : ٣٧] .

(يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا) فيها "وجهان أحدهما أن الجملة تفسيرية للضلال والثاني أنها حالية"[٣]، وهي "بيان لسبب كونه ضلالًا"[٤] .

وقوله تعالى : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) [الأنفال :٦٠] .

فجملة (ترهبون) مستأنفة استئنافًا بيانيًّا لتعليل الأمر بإعداد رباط الخيل ، أو حال من ضمير

---

[١] التحرير : ٩ / ١٩٠ .

[٢] المصدر نفسه : ١٠ / ١٩٤.

[٣] الدر : ٦ / ٤٨ .

[٤] التحرير : ١٠ / ١٩٢.

(أعدوا)[1]، وقوله تعالى : (رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) [النور : ٣٧] . "(يخافون ...) فإنه صفة أخرى لرجال ، أو حال من مفعول (لا تلهيهم) أو استئناف مسوق للتعليل"[2] .

هذا التعدد في الأوجه الإعرابية للجملة الواحدة مردُّه إلى إمكانية استغناء الجملة الأصلية عن الجملة التالية لها ، مع إمكانية تعلقها بها لانطباق الشروط النحوية عليها ، بحيث يمكن أن تكون واقعة موقع عنصر مكمل للجملة الأصلية كالحال ، والنعت ، وفي حالة انقطاع الجملة الأصلية عن الجملة التالية لها تكون الجملة مستأنفة ، وفي الحالات جميعها ؛ الحال ، والنعت ، والاستئناف تكون الجملة علة لما قبلها ، والسؤال الذي يظهر هنا إذا كان الحال والنعت وكذلك المفعول له عناصر مكملة للجملة ، وإذا كان الحال والنعت عندما يقعان جملة يُقال إنها حلت محل مفرد لذا لها موقع من الإعراب ... فلماذا لا يُعامل المفعول له بالمثل عندما يكون جملة؟

والحال والنعت والمفعول له "جملة التعليل" تأتي مفصولة عن الجملة التي قبلها أي لا ترتبط معها برابط شكلي - ما عدا الحال في بعض الحالات - والمكملات الثلاثة أيضًا يربطها بالجملة قبلها ضمير أو ما ينوب عنه من تكرار للاسم إلا أن جملة التعليل تُعَدُّ جملة لا محل لها من الإعراب ؛ أي ليس لها وظيفة نحوية ، بل إن بعض المصادر الدالة على العلة داخل الجملة ، وتنطبق عليها الشروط التي وضعها النحاة للمفعول له ، كالمصدرية مثلًا قد لا تُعرَب عندهم مفعولًا له ، بل تؤول بمشتق ليصحَّ أن تكون حالًا .

مما سبق تبيَّن أن :

- جمل التعليل الفعلية الخبرية غير المصدَّرة بأداة تأتي جملًا مفصولة عن الجمل قبلها نحويًّا، ومرتبطة بها دلاليًّا .
- إنها تتخذ النمط الخاص بالجملة الفعلية ولا تختلف عنه ، وتلحقها من المكملات ما يلحق الجملة الفعلية كالمفعول به والحال والتمييز وغيرها .

---

[1] المصدر نفسه : ١٠ / ٥٦ .

[2] روح المعاني : ١٨ / ١٧٨.

- الزمن في هذه التراكيب يعود للسياق الذي ترد فيه ؛ فقد يرد ماضيًا أو مضارعًا .
- الفاعل قد يكون اسمًا أو ضميرًا بارزًا أو مستترًا كما قد يُحذَف الفاعل ويُبنى الفعل للمجهول ليحل المفعول به محله في الجملة ، أما الفاعل المضمر فيعتمد على تضمين الفعل عنصرًا يشير إلى متقدم لا يلزم تكراره .
- الجملة الفعلية المعلَّل بها أطول من جملة التعليل الاسمية .
- تقع جملة التعليل الفعلية بعد المعلَّل له ، حيث يأتي الطلب أو الخبر ثم يُعلَّل له بجملة خبرية تكون باعثة له .
- قياسًا على إعراب بعض الجمل حالًا وبعضها نعتًا يمكن إعراب الجمل الاستئنافية الواقعة تعليلًا في محل نصب مفعولًا له .
- إن الجمل المستعملة للتعليل في هذا النوع من جمل التعليل الخبرية غير المصدَّرة بأداة هي جمل تتضافر مع الجمل السابقة لها في تحقيق ترابط النص ، وهي تراكيب تعتمد على علاقة معنوية (دلالية) ترتبط بما قبلها ، وهي لا تشغل عند النحاة - موقعًا إعرابيًا لأنها لا تحل محل مفرد ، ولذا عدوها مستأنفة فُصِلت عما قبلها نحويًّا مع ارتباطها به دلاليًّا ، وإشارات النحاة والمفسرين إلى التعليل في هذه الجمل هي إشارة إلى معنى وليس إلى وظيفة نحوية .

ثالثًا : جملة جواب الطلب :

يمثل جواب الطلب جزءًا من جملة مركبة تتكون من جملتين إحداهما مرتبطة بالأخرى ؛ فحدوث الثانية مترتب على حدوث الأولى ترتبًا سببيًّا فالأولى جملة طلبية ، والثانية جملة خبرية فعلية فعلها مضارع مجزوم ، وتشبه العلاقة بين هاتين الجملتين تلك العلاقة بين الشرط وجوابه ، وقد تناول بعض النحاة هذا النمط في نهاية الفعل المضارع بعد (فاء السببية)[1] لاشتراكه مع فعلها بأنه جواب للطلب مثله ولكن سقطت منه الفاء ، وبعض النحاة جعله بعد الشرط وجوابه[2].

ويُشغَل النحاة في هذا النمط بعامل الجزم في الفعل المضارع الواقع جوابًا للطلب ، ومتى يُجزَم ومتى يُرفَع، ويتناولونه بوصفه تركيبًا يقوم على علاقة سببية تلازمية بين ركنيه كتلك العلاقة بين الشرط وجوابه ، قال سيبويه" وإنما انجزم هذا الجواب كما انجزم جواب إن تأتني بإن تأتني ، لأنهم جعلوه معلقًا بالأول غير مستغنٍ عنه إذا أرادوا الجزاء ، كما أن إن تأتني غير مستغنية عن آتك"[3] .

فقد قرن جواب الطلب بجواب الشرط ، والقاسم المشترك بينهما الترتيب السببي وتعلق الثاني بالأول ، وأن سبب الفعل الطلبي هو الفعل الذي هو جواب له فهو المقصود بالطلب أو هو غرض الطلب .

صور التعبير عن جملة الطلب وجوابه المراد بها التعليل :

إن أكثر ما جاء في القرآن الكريم هو جواب لفعل الأمر ، ولم تأتِ الأنواع الطلبية الأخرى سوى ما جاء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ

---

(١) أوضح المسالك : ابن هشام ٤ : ١٨٧.

(٢) المقتضب : المبرد : ٢ /٨٠ ، شرح الكافية : الرضي : ٤/ ١١٦.

(٣) الكاب ٣ / ٩٣ - ٩٤ .

طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)) [الصف] التي بدأت باستفهام ، وفي هذه الآية خلاف على مرجع جواب الطلب أهو للاستفهام أم للأمر الوارد بصيغة الخبر – وسترد في موضعها لاحقًا إن شاء الله - .

١- الأمر بصيغة افعل + فعل مضارع مجزوم :

تمثل الصورة الأولى التعليل في جملة الأمر وجوابه مجيء الفعل المضارع جوابًا للأمر بصيغة (افعل) وذلك في مثل قوله تعالى :(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [البقرة :٢٦٠] .

جاء الفعل الخبري المضارع (يأتينك) جوابًا للدعوة فإذا استعملنا مقياس النحاة في هذه الصورة لقلنا (إن تدعهن يأتينك) تشبيه للعلاقة بين ركني هذا التركيب بالتركيب الشرطي وإن الدعوة سبب الإتيان ، ولذلك نجد أن الإتيان علة غائية للدعوة فإذا سُئِل لماذا يدعوهنَّ ؟ لقيل ليأتينه فأمر بفعل يتسبب عنه فعل آخر ، ولذا يمكن القول إن تقدير حرف (كي) يمكن أن يؤدي هذه المهمة والتقدير ادعهن كي يأتينك سعيًا ، فحدوث الأول سبب لحدوث الثاني، والثاني علة غائية للأول ، وفي هذا الشاهد الفعل مبني في محل جزم ، وصياغة جواب الطلب في هذا الشاهد يتبع الصياغة النمطية للجملة الفعلية ممتدة[1] بالمفعول به الذي جاء في صيغة الضمير المتصل ، وبالحال سعيًا ، وتقدَّم الفعل على الفاعل ، والفاعل ضمير يحيل إلى الطيور الأربعة .

تعدد جواب الطلب :

في قوله تعالى : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(١٥)) [التوبة] يظهر تعدد جواب الطلب المترتب ترتبًا سببيًّا على الأمر ، وهذا الجواب إنما هو علة غائية للقتال ولذلك جُزِمت هذه الأفعال ويظهر أثر العلامة الإعرابية في تحديد مراد المتكلم

[1] هذا المصطلح -الجملة الممتدة- قد وضعه الدكتور محمد إبراهيم عبادة في كتابه الجملة العربية : ١٣٤.

من رفع الفعل (ويتوب) فإنه لما أراد التنبيه على أن هذا الفعل غير داخل في هذه العلة ، وليس معطوفًا على تلك الأفعال بالواو التي تسبقه رفعه يقول العكبري : "مُستأنَف ولم يُجزَم لأن توبته تعالى على من يشاء ليست جزاء ، وقُرِئ بالنصب على إضمار"[1]، فجعل عدم الجزم علامة على عدم إرادة السبب في الفعل (يتوب) .

كما تظهر العلاقة السببية وترتب وقوع الثاني على وقوع الأول -أيضًا- في قوله تعالى : (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) [يوسف : ٩] ف (يخل وتكونوا) جواب الأمر[2] وعلة غائية للقتل، أي اقتلوه كي يخلو وتكونوا .

تعدد الوجوه الإعرابية لجواب الطلب :

نجد في قول الله تعالى : (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) [مريم : ٥ -٦] أن الجمهور قرأ (يرث) بالرفع وقرأه أبو عمرو والكسائي بالجزم[3]، يقول ابن يعيش محسِّنًا قراءة الرفع ومُعلِّلًا ذلك بعلة دلاليَّة :"والرفع هنا أحسن من الجزم وذلك من جهة المعنى والإعراب . أما المعنى فلأنه إذا رفع فقد سأل وليًّا وارثًا لأن من الأولياء من لا يرث ، وإذا جزم كان المعنى إن وهبته لي ورثني فكيف يخبر الله سبحانه وتعالى بما هو أعلم به منه"[4] .

ويُلاحَظ في هذا الشاهد دور العلامة الإعرابية في تحديد المعنى المراد ، فإن من أراد أو من فهم من القراء الترتب السببي بين (هب ويرثني) وأن الثاني جواب الأول جزم ومن فهم أن (يرثني) صفة للولي رفع ، وهما في الحالين علة للطلب -علة لطلب زكريا الولي- .

وكذلك في قوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) [هود : ٦٤] قُرِئت الآية بالجزم والرفع "قرأت فرقة (تأكلُ) بالرفع على الاستئناف أو على الحال"[5] .

---

[1] التبيان : ٢/ ٦٣٨.

[2] الدر المصون : ٦/ ٤٤٥.

[3] الدر المصون : ٧ / ٥٦٧ .

[4] شرح المفصل : ٧/ ٥١ .

[5] البحر المحيط : ٥/ ٢٤٠ .

وسياق الآية يسمح بأن يكون (تأكل) علة غائية للأمر بالترك ، ومترتب وقوعها على وقوع الترك ، كما يسمح بأن يكون وصفًا لحالة الناقة وقت الأمر بالترك ، فإن أراد اتركوها كي تأكل جزم وإن أراد اتركوها فهي تأكل أو لأنها تأكل رفع [1] .

٢- الأمر بصيغة اسم الفعل + فعل مضارع مجزوم :

تمثل الصورة الثانية من هذا النمط مجيء الفعل المضارع جوابًا لاسم فعل أمر ، في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ...) [المائدة : ١٠٥] فإن قوله تعالى : (لا يضركم من ضل ...) تنتزل من قبلها تنزل البيان[2] ، (ولا يضركم) جواب لاسم فعل الأمر (عليكم) ، قال الزمخشري : "عليكم من أسماء الفعل ، بمعنى : الزموا إصلاح أنفسكم ولذلك جزم جوابه (لا يضركم) وفيه وجهان : أن يكون خبرًا مرفوعًا وتنصره قراءة أبي حيوة (لا يضيركم) ، وأن يكون جوابًا للأمر مجزومًا ، وإنما ضُمَّت الراء إتباعًا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة والأصل : لا يَضْرُرْكُم ، ويجوز أن يكون نهيًا"[3] ، وفي هذا الشاهد نجد القول بأن لا يضركم جواب (عليكم) يعني أن وقوع لزوم إصلاح النفس سبب لوقوع عدم الضرر .

٣- الأمر بالمضارع المسبوق بلام الأمر + فعل مضارع مجزوم :

الصورة الثالثة لهذا النمط تمثل مجيء الفعل المضارع جوابًا للأمر بالفعل المضارع المسبوق بلام الأمر ونجدها في قوله تعالى : (أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ...) [طه : ٣٩] فـ(يأخذ) هو جواب الأمر[4] بصيغة الفعل المضارع المجزوم باللام ، ويمكن أن نطبق عليه ما سبق تطبيقه من تقدير (كي) فليلقه اليم كي يأخذه ، فالأخذ فعل تالٍ للإلقاء ومُسبَّب عنه ، وهو علة غائية للإلقاء ، لذا لا يصح تقدير فليلقه اليم لأنه يأخذه ، فالأخذ ليس سبب الإلقاء وإنما مُسبَّب عنه .

---

[1] معاني القرآن وإعرابه : الزجَّاج : ٣/٦٠.

[2] التحرير والتنوير : ٧ / ٧٧ .

[3] الكشاف : ٢ / ٣٠٦ .

[4] التحرير والتنوير : ١٦ / ٢١٧ .

٤- استفهام + فعل مضارع مجزوم :

أما الصورة الرابعة وهي الأخيرة لهذا النمط فهي لجواب الاستفهام ، وقد ورد في آية واحدة على خلاف في الجواب أللاستفهام هو أم للأمر الوارد بصيغة الخبر ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)) [الصف] .

فقد جعل سيبويه[١]، والمبرد[٢](يغفر) جواباً للاستفهام ، وجعله نحاة آخرون جواباً لقوله (تؤمنون) على أن (تؤمنون) خبر أريد به الطلب ، قال أبو على الفارسي : "فلا يصح أن يكون جواباً لهل لأن الدلالة لا تكون تثبيتاً للغفران وإذا بطل هذا ثبت أنها جواب لقوله (تؤمنون) ويكون التقدير (إن تؤمنوا)" [٣]، وغلّط الزجاج[٤] القائلين بأنه جواب الاستفهام مقدّرًا معنى (تؤمنون) بـ (آمنوا) ، وكذا قال بذلك ابن يعيش[٥] .

أما المفسرون فقد أشار ابن عطية إلى أن "(تؤمنون) لفظة الخبر ومعناه الأمر أي آمنوا، وفي مصحف عبد الله بن مسعود (أليم آمنوا بالله ورسوله جاهدوا)" [٦] .

مما سبق يمكن أن نجمل بعض الملاحظات على هذا النمط من جمل التعليل غير المصدَّرة بأداة كما وردت في القرآن الكريم :

١- تأتي هذه الجمل تعليلًا لجمل طلبية تأتي قبلها اقتصرت في القرآن الكريم على الأمر ؛ إما الأمر الصريح بصيغة (افعل) - وهو الأكثر - أو الأمر بصيغة اسم الفعل ، أو الأمر بالمضارع

---

[١] الكاب : ٣ / ٩٣ ، ٩٤.

[٢] المقتضب : ٢ / ٨٠ .

[٣] المسائل المنثورة : أبو عليّ الحسن بن أحمد الفارسي ، تحقيق : شريف عبد الكريم النجار ، دار عمار للنشر والتوزيع ، الأردن ، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م) ، ١٦٣.

[٤] معاني القرآن ٥ / ١٦٦.

[٥] شرح المفصل : ٧ / ٤٨.

[٦] المحرر الوجيز : ٥/ ٣٠٤.

المجزوم بلام الأمر أو الأمر بصيغة الخبر ، وكل واحدة من الثلاث الأخيرة وردت في القرآن مرة واحدة .

٢- ترتبط هذه الجملة بالجملة الطلبية قبلها ارتباطًا تلازميًّا .

٣- تربط بين الجملة الطلبية وجوابها علاقة سببية غائية تشبه تلك العلاقة بين الشرط وجوابه .

٤- يمثل وقوع الحدث في جملة الطلب سببًا لوقوع الحدث في جملة الجواب ، وفي الوقت ذاته فإن هذا الحدث هو علة غائية للطلب نفسه ، ويمكن اختبار هذه العلة الغائية باستعمال (كي) .

٦- تحدد العلامة الإعرابية اتجاه السبب إذ توجد علاقة سببية بين جملة الطلب وجوابها ، فإذا وُجِد الجزم فهذا يعني أن الجواب غاية للطلب ووقوع الطلب سبب لوقوع الجواب ويمكن اختبار هذه العلاقة بـ (كي)، أما إذا كان الفعل مرفوعًا فإن دلالة الجملة الفعلية الخبرية تختلف بحسب ما قبلها ؛ فقد تكون حالًا أو نعتًا ، كما قد يكون المراد بها الاستئناف .

القسم الثالث : جمل التعليل الطلبية المصدَّرة بأداة

قسَّم البلاغيون الكلام إلى خبر وإنشاء ، وعرفوا الخبر بأنه الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب لذاته ، والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع ، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع ، أما الإنشاء فهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب يقول القزويني : "الكلام إما خبر أو إنشاء ، لأنه إمَّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج ، الأول خبر والثاني إنشاء"[1]، فالكلام الإنشائي ما لا يمكن القول بأنه صادق أو كاذب .

وقُسِّم الإنشاء إلى : إنشاء طلبي ، وإنشاء غير طلبي . ويُقصَد بالإنشاء الطلبي ما يستلزم مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب ، ويُقصَد بالإنشاء غير الطلبي ما لا يستلزم مطلوبًا ليس حاصلًا وقت الطلب ، "ومن الإنشاء غير الطلبي أفعال المقاربة ، وأفعال التعجب والمدح والذم، وصيغ العقود، والقسم ، ورُبَّ ، وكم الخبرية ، وهي من مباحث النحويين ، أما البلاغيون فلا يهتمون بهذا النوع ؛ لقلة المباحث المتعلقة به ، ولأن أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء"[2] .

والإنشاء الطلبي هو : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والدعاء ، والترجي ، والتمني ، والنداء ، والعرض ، والتحضيض[3] .

ثم إن الأساليب الطلبية منها ما هو مصدر بأداة ؛ كالاستفهام والنهي ، ومنها غير مصدرة بأداة ؛ كالأمر والدعاء .

وهذا الجزء من البحث يتناول الجمل الطلبية المصدرة بأداة الواقعة تعليلًا لما قبلها .

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م) : ٢٤ .

(٢) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، ضمن شروح التلخيص : ابن يعقوب المغربي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان (بدون تاريخ) : ٢ / ٢٣٧.

(٣) الأساليب الإنشائية في النحو العربي : ١٤.

الاستفهام بـ (الهمزة) أو بـ (هل) :

"الاستفهام هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن ، فإن كانت وقوع نسبة بين أمرين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق"[١] والهمزة أصل باب الاستفهام[٢] ، وتُستَعمَل "لطلب التصديق كقولك : (أقام زيد؟) في الجملة الفعلية ، و(أزيد قائم؟) في الاسمية، أو لطلب التصور كقول في طلب تصور المسند إليه (أدبس في الإناء أم عسل ؟) وفي طلب تصور المسند : (أفي الخابية دبسك أو في الزق؟) وفي طلب تصور المفعول : (أعمرًا قابلت أم أحمد؟)"[٣] . فتدخل الهمزة على الجملة الاسمية سواء أكان الخبر فيها اسمًا أم فعلًا، وتدخل على الجملة الفعلية . وقد ترد الهمزة لمعان غير الاستفهام ؛ كالتقرير والإنكار والتوبيخ والتذكير[٤].

أما (هل) : فهي لطلب التصديق لا غير[٥] ، و"تدخل على الجملتين الفعلية والاسمية بشرط ألا يكون خبرها فعل، فلا تأتي (هل زيد قام؟) إلا على شذوذ"[٦] .

ولا تستعمل (هل) للإنكار والتوبيخ والتعجب كالهمزة[٧] ، وقد تستعمل للتقرير والإثبات كقوله تعالى : (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [المطففين : ٣٦] .

وقد ورد في القرآن الكريم التعليل ببعض الجمل الاستفهامية ، واقتصر ذلك على الجمل المصدرة بـ (الهمزة) أو بـ (هل) وفيما يلي أنماط هذه الجمل .

النمط (١) : أداة استفهام (الهمزة ، هل) + جملة فعلية :

قال تعالى : (.... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) [الفرقان : ٢٠] . فجملة (أتصبرون) هي جملة فعلية مصدرة بهمزة الاستفهام وهي جملة مفصولة عما قبلها لفظيًّا ،

---

(١) مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح ، ضمن شروح التلخيص : سعد الدين التفتازاني :٢ / ٢٤٦ .

(٢) الجنى الداني : ٣١ .

(٣) مواهب الفتاح، ضمن شروح التلخيص : ٢/ ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩ .

(٤) الجنى الداني : ٣٢ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٤١ .

(٦) شرح الكافية : الرضي : ٤/ ٤٤٦ .

(٧) الجنى الداني : ٣٤٢.

لذلك قدَّر المفسرون فعلًا يكون تعليلًا للجعل ، قال الألوسي فيقول : "والاستفهام إما في حيز التعليل للجعل ومعادله محذوف ... والتقدير لنعلم أتصبرون أم لا"[١] ، وإذا صَّح تقدير الفعل المحذوف الدالّ على العلة خرج الاستفهام من معنى الإنشاء إلى معنى الخبر ، أما إن كان المراد بالاستفهام الأمر فيكون الأمر بالصبر معلَّلًا له بالجعل ، بمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة فاصبروا ، أو كما قال الألوسي : "والمراد اصبروا فإني ابتليت بعضكم ببعض"[٢] .

وجملة (أتصبرون) جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع ، وحل الضمير المتصل محل الفاعل ، ليكون بذلك رابطًا إحاليًّا يربط جملة أتصبرون بالجملة قبلها ، وقُطِعَت جملة (أتصبرون) عما قبلها لاختلاف الكلام خبرًا وإنشاءً[٣] .

وتتصدر الهمزة الجملة الاستفهامية ويأتي بعدها الفعل المُستفهَم عنه ، ولأن هذه الجملة بسيطة[٤] فإن الاستفهام موجه إلى ركني الجملة الفعلية : الفعل والفاعل .

وفي قوله تعالى : (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) [مريم :٦٥] تتصدر (هل) الجملة الاستفهامية وبعدها الفعل المُستفهَم عنه بما يتعلق به من مفعول به وجار ومجرور .

فـ "جملة هل تعلم له سميًّا واقعة موقع التعليل للأمر بعبادته والاصطبار عليها ...." [٥] .

والاستفهام في الآية ليس على حقيقته إذ هو استفهام يُراد به النفي أي (ما ، لا) تعلم له سميًّا، وهل "تختص عن الهمزة بورودها للجحد أي يُراد بالاستفهام بها النفي ، ولذلك دخلت على الخبر بعدها (إلا) في نحو (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [الرحمن : ٦٠]"[٦]. وبذلك يتحول الاستفهام إلى الخبر ، وكأن التعليل (رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته لأنك لا تعلم له سميًّا أو لأنه لا سمي له) .

---

[١] روح المعاني : ١٨/ ٢٥٥.

[٢] المصدر والصفحة أنفسهما .

[٣] الإيضاح : ١٢٠ .

[٤] هذا المصطلح -الجملة البسيطة- قد وضعه الدكتور محمد إبراهيم عبادة في كتابه الجملة العربية : ١٣٤.

[٥] التحرير : ١٦ / ١٤٣ .

[٦] همع الهوامع : ٢/ ٥٠٥ .

النمط (٢) أداة الاستفهام + أداة نفي (لم) + فعل العلم + أنَّ ومعموليها وما يتصل بهما :

في هذا النمط يفصل حرف النفي (لم) بين أداة الاستفهام وبين المُستفهَم عنه ، وتتصدر أداة الاستفهام (الهمزة) الجملة .

ففي قوله تعالى : (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) [التوبة : ٦٢ - ٦٣] نجد أن الجملة الاستفهامية (أَلَمْ يَعْلَمُوا ...) "تتنزل من جملة (والله ورسوله أحق أن يرضوه) منزلة التعليل لأن العاقل لا يرضى لنفسه عملًا يؤول به إلى مثل هذا العذاب فلا يقدم على ذلك إلا من لا يعلم أنه من يحادد الله ورسوله يصير إلى هذا المصير السيئ"[١] .

وهذا الاستفهام الذي أُريدَ به التعليل إما للإنكار والتوبيخ -حال كونه خطابًا للمنافقين- أو للتقرير والتعجب -حال كونه خطابًا للمؤمنين- [٢] .

وقد ذهب النحاة إلى أن الاستفهام حقه أن يكون عن الفعل ، لذا كثر تعلقه به ، يقول ابن يعيش : وأما الاستفهام فهو في موضع الأفعال لأنك إنما تسأل عما تشك فيه ، وأنت إذا قلت : أزيد قائم ؟ فإنما تشك في قيام زيد ، لا في ذاته[٣] .

والتعليل بهذا الاستفهام ليس الغرض منه الاستفهام الحقيقي ، وإنما المراد به استفهام بلاغي فيه من التوبيخ لهم على ما صدر منهم - المنافقين - من الحلف ، مع علمهم بمآل من يحادُّ الله ورسوله .

ومما ورد في القرآن الكريم من هذا النمط قوله تعالى :

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨)) [القيامة] .

---

[١] التحرير : ١٠/ ٢٤٦.

[٢] البحر المحيط : ٥/ ٦٤ .

[٣] شرح المفصل : ١/ ٨١ .

فالآية (٣٧) يقول عنها ابن عاشور : "استئناف هو علة وبيان للإنكار المسوق للاستدلال بقوله (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) الذي جعل تأييدًا وتكريرًا لمضمون قوله (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ) [القيامة : ٣]"[١] ، فالتعليل بالتقرير الوارد في صيغة الاستفهام ، وتكوَّنت جملة التعليل من أداة الاستفهام + لم + يكون + جملة اسمية المبتدأ فيها ضمير مستتر والخبر اسم نكرة موصوفة بجار ومجرور موصوف بجملة فعلية .

وبشبه الجملة والجملة المتفرعة عن الخبر امتدت الجملة المُستفهَم عنها الواقعة تعليلًا لما قبلها .

النمط (٣) أداة استفهام + جملة اسمية :

ويمثل هذا النمط قوله تعالى : (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [الرحمن : ٦٠] .

هذه الآية سُبِقت بآيات تتحدث عن جزاء المؤمنين مبدوءة بقوله تعالى : (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) [الرحمن : ٤٦] ومعناها مع قبلها "لأنهم أحسنوا فجازاهم ربهم بالإحسان"[٢] . ف (هل) تتركب مع (إلا) في أسلوب الاستفهام فيكون معناها النفي[٣] كما في الآية . وبذلك يكون الاستفهام غير مراد لذاته ، وإنما لغرض إخباري كما هو في (ما جزاء الإحسان إلا الإحسان) . وجملة الاستفهام في هذه الآية – وإن كانت(هل) بمعنى (ما) النافية – تدل على الإثبات ؛ إذ إنه بحذف عنصر النفي (هل) وعنصر الإثبات (إلا) - وكل منهم يبطل الآخر – تكون الجملة جزاء الإحسان الإحسان ، وهي جملة مثبتة وبالتالي فالنفي أيضًا غير مراد من الاستفهام وإنما المراد التقرير والإثبات .

ويمكن القول بعد ما سبق أن الجمل بعد أداة الاستفهام جاءت اسمية كما في (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وفعلية مثبتة كما في (أتصبرون) (هل تعلم له سميًا) ومنفية (ألم يعلموا أنه من يحادد الله) (ألم يك نطفة ...) وبدخول أداة الاستفهام تحولت تلك الجمل الخبرية إلى جمل طلبية ولم يحدث أي تغيير في بنائها ، وإن حدث التغيير في دلالتها .

---

[١] التحرير والتنوير : ٢٩/ ٣٦٦ .

[٢] التحرير والتنوير : ٢٧/ ٢٧١.

[٣] مغني اللبيب : ٤٠٤ .

القسم الرابع : جمل التعليل الإنشائية غير الطلبية

الإنشاء غير الطلبي هو ما لا يستلزم مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب[١] وجعل ابن يعقوب المغربي من الإنشاء غير الطلبي أمورًا منها : "أفعال المقاربة كـ (عسى) (حرى) (اخلولق) وهي المسماة أفعال الرجاء ، وأفعال المدح والذم كـ (نعم) و(بئس)، وصيغ العقود كـ (بعت) لإنشاء البيع و(نكحت) لإنشاء التزوج ، والقسم كـ (أقسم بالله) و(رُبَّ) كما في قوله القائل : رُبَّ جاهل في الدنيا مريدًا استكثارهم ، وما إلى تلك من إنشاءات مما فيه إظهار الفرح والحزن"[٢] .

وقد استُعمِل في القرآن الكريم للتعليل من هذه التراكيب تركيبان اثنان ، هما : تركيب الترجي بـ(عسى) ، وتركيب التعجب بـ (ما أفعله) وبذلك يمكن عدُّ الترجي نمطًا من أنماط التراكيب غير الطلبية ، والتعجب نمطًا ثانيًا وعليه تكون أنماط تراكيب التعليل غير الطلبية على النحو التالي :

النمط (١) : عسى + أنْ + فعل مضارع :

(عسى) أحد الألفاظ الدالة على الترجي ، "وهو من الأفعال غير المتصرفة ، وقال الأزهري : عسى حرف من حروف المقاربة"[٣] .

ومنه ترجّ ورجاء كـ (لعلَّ) [٤]قال عنها سيبويه "لعلَّ وعسى : طمع وإشفاق"[٥] .وفسر المبرد جملة (عسيت أن تفعل) بـ (قاربت أن تفعل) [٦] ممَّا جعل بعض النحاة بعده يرون فيها إفادة المقاربة ، قال شارح المفصل ابن يعيش : "إن هذه الأفعال دخلت لإفادة معنى القرب في الخبر فمن ذلك (عسى) وهو فعل غير متصرف ومعناه المقاربة على سبيل الترجي"[٧] . كما

---

[١] مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للقزويني ، ضمن شروح التلخيص : ٢ / ٢٣٧.

[٢] مواهب الفتاح ، ضمن شروح التلخيص : ابن يعقوب المغربي : ٢ / ٢٣٧.

[٣] لسان العرب : مادة (عسى) .

[٤] شرح الكافية : الرضي : ٤/ ٢١٤.

[٥] الكاب : ٤/ ٢٣٣ .

[٦] المقتضب : ٣/ ٦٨.

[٧] شرح المفصل : ٧/ ١١٥ .

يذهب فريق آخر إلى أنها لا تدل على المقاربة ، فقال الرضي: "لم يثبت في (عسى) معنى المقاربة وضعًا ولا استعمالًا"[١]، وجعلها أبو حيان للرجاء في تقسيمه لأفعال المقاربة والرجاء والشروع[٢]. ويبدو أن القائلين بأنه للمقاربة فهموا ذلك من قول سيبويه في تفسيره لتركيب (عسيت أن تفعل) بـ (قاربت أن تفعل) [٣] .

فمعنى (عسى) - كـ(لعلَّ)- الترجي في المحبوب والإشفاق في المكروه .

وقيل : إن (عسى) من الله في القرآن الكريم واجبة ؛ إذ لا يجوز في حقه الرجاء ، قال أبو عبيدة : "هي من الله إيجاب ، وهي في القرآن كلها واجبة ، فجاءت على إحدى لغتي العرب ؛ لأن (عسى) في كلامهم رجاء ويقين ، قال ابن مقبل :

ظَنِّي بِهِمْ كَـ(عَسَى) وَهُمْ بِتَنُوفَةٍ يَتَنَازَعُونَ جَوَائِزَ الْأَمْثَالِ

أي ظني بهم يقين"[٤]، وأما الأصمعي فقال : "ظني بهم كعسى أي ليس بثبت كعسى في كونها بمعنى الطمع والرجاء"[٥]، وقال الرضي معلِّقًا على كلام أبي عبيدة : "وأنا لا أعرف (عسى) في غير كلامه تعالى لليقين فيه نظر ، ويجوز أن يكون معنى (ظني بهم كعسى) أي مع طمع"[٦] . فذهب مذهب الأصمعي في إنكار أن (عسى) لليقين في هذا البيت ، ويميل معظم النحاة والمفسرين إلى القول بأن (عسى) من الله واجبة ، فهي بمثابة الإخبار[٧]، والقول بأنها من الله واجبة لا يفرغها من معنى الترجي إلا أن الرجاء لا يكون منه سبحانه ، وإنما من المخاطَبين ، فيكون فيها معنى الإطماع .

والترجي يكون في المحبوب كما أن الإشفاق في المكروه ، وقد استعملت (عسى) لإنشاء المعنيين، وقد اجتمعا في قوله تعالى (... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ...) [البقرة : ٢١٦] . والأكثر في استعمال (عسى) مقرونة بـ (أن)

---

[١] شرح الكافية : ٤/ ٢١٦ .

[٢] ارتشاف الضرب : ٣/ ١٢٢٣.

[٣] الكتاب : ٣/ ١٥٧.

[٤] مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيميّ (٢١٠هـ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ : ١/ ١٣٤.

[٥] اللسان : مادة (عسى) .

[٦] شرح الكافية : الرضي : ٤/ ٢١٤ .

[٧] المصدر والصفحة أنفسهما .

بعدها[1]، فقد استُعملت (عسى) يليها أن والفعل المضارع في بعض السياقات في القرآن الكريم دالة على التعليل لما قبلها من أمر أو نهي ومن ذلك قوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) [الإسراء : ٧٩] . قال الألوسي : "المعنى على التعليل والتهوين لمشقة قيام الليل حتى زعم بعضهم أن (عسى) بمعنى (كي) وهو وهم بل هي كما قال أهل المعاني للإطماع ، ولما كان إطماع الكريم إنسانًا بشيء ثم حرمانه منه غرورًا والله - عز وجل - أجل وأكرم من أن يغر أحدًا فيطعمه في شيء ثم لا يعطيه قالوا : هي للوجوب من الله تعالى على معنى أن المطمع به يكون ولابد للوعد ، وقيل هي على بابها للترجي لكن يصرف إلى المخاطَب أي لتكن على رجاء من أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا"[2]. ففسر معنى القول بالوجوب من الله سبحانه في استعمال (عسى) وبين أن المعنى على التعليل لكن (عسى) ليست بمعنى (كي) لأنها للإطماع ، و(كي) للوجوب.

و(عسى) في الآية فعل تام ، (وأن يبعثك) فاعلها ، وأجاز بعض المعربين أن تكون ناقصة واسمها (ربك) مؤخر عنها ، و(أن يبعثك) خبرها[3]، وبالتركيب نفسه نجد قوله تعالى : (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [القصص : ٩] . فقوله : (عسى أن ينفعنا) "في موضع العلة لمضمون جملة (لا تقتلوه)"[4]،و(عسى) هنا ليست واجبة لأنها على لسان البشر فهي على بابها من معنى الرجاء.

وبالتركيب نفسه يأتي التعليل بالرجاء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ...) [الحجرات : ١١] . قال الزمخشري : "كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المُستخبَر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه ... ، والمعنى وجوب أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرًا

---

[1] شرح الكافية : ٤/ ٢١٦.

[2] روح المعاني : ١٥/ ١٤٠.

[3] الدر المصون : ٧/ ٤٠٠ .

[4] التحرير والتنوير : ٢٠/ ٧٩.

من الساخر"[1]، وكذل قال الألوسي : "تعليل للنهي أو لموجبه"[2]، ويُلاحَظ أن معنى (عسى) في الآية لا يدل على الوجوب ، رغم أنها منه - سبحانه وتعالى - فهي هنا للاحتمال والإمكان كما فسره الزمخشري ربما كان المسخور منه خيرًا من الساخر ، أو على معنى لأنهم قد يكونون خيرًا منهم .

النمط (٢) : صيغة التعجب (ما أفعله) :

"التعجب : انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى مسبّبه ، ولهذا قيل : إذا عُرِف السبب بطل العجب"[3]، وهو من الأساليب الإنشائية غير الطلبية ، وله صيغتان (ما أَفْعَلَه) و (أَفْعِلْ به) وهي أفعال غير متصرفة ، وضعت لإنشاء التعجب تُصاغ مما يُصاغ منه (أفعل التفضيل) وهو الفعل الثلاثي المجرد ، التام ، المثبت ، المتصرف القابل معناه للكثرة ، غير مبني للمفعول ولا معبر عن فاعله بأفعل فعلاء[4]، وقد استُعملت صيغة (ما أفعله) في موضع التعليل في القرآن الكريم في قوله تعالى : (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) [عبس : ١٧] .

فإن "جملة (ما أكفره) تعليل لإنشاء الدعاء عليه"[5]، واستُعمِلت صيغة التعجب للتعليل ، ولذلك فُصِلت عن الجملة الدعائية قبلها . وفي الفعل ضمير راجع إلى (ما) وهو فاعله ، والمنصوب بعده مفعوله والجملة الفعلية خبر (ما) هذا هو مذهب سيبويه[6] ، أما عند الفرَّاء فإن (ما) استفهامية ، وما بعدها خبرها[7]، وقوَّى الرضي مذهب الفراء قائلًا : "وهو قوي من حيث المعنى ؛ لأنه ، كأنه جهل سببه فاستفهم عنه ، وقد يُستفاد من الاستفهام معنى التعجب"[8] .

مما سبق تبيَّن أن التراكيب الإنشائية غير الطلبية استخدمت للتعليل في نمطين اثنين أحدهما أسلوب ترجٍّ بـ(عسى + أنْ + الفعل) والثاني أسلوب تعجب بـ(ما أفعله) .

---

(١) الكشاف : ٥/ ٥٧٦ .

(٢) روح المعاني : ٢٦/ ١٥٢.

(٣) شرح الكافية : ٤ / ٢٢٨ .

(٤) شرح الكافية : ٣/ ٤٤٨ .

(٥) التحرير : ٣٠/ ١٢١.

(٦) شرح الكافية : ٤/ ٢٣٣ .

(٧) المصدر نفسه : ٤/ ٢٣٤ .

(٨) شرح الكافية : ٤/ ٢٣٤ .